الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

ⴰⵖⵏⴰⵡⵉⵙ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵉⵜ ⴰⵎⵙⴰⵡⴰⵍ ⴷ ⵜⵙⵙⵏⵜⵉⵡⵉⵜ ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ

ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ ⵏ ⵎⵓⵍⵓⴷ ⵎⵎⴻⵔⵉ ⵜⵉⵣⵉ-ⵡⵣⵓ

جامعة مولود معمري – تيزي وزو

كلّية الآداب واللغات

قسم : اللّغة العربيّة وآدابها

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

DEPARTEMENT : LANGUE ET LITTERATURE ARABES

الرقم:...../...../ 2024

رقم الترتيب:

الرقم التسلسلي:

مذكرة التخرج لاستكمال نيل شهادة الماستر (ل.م.د)

الميدان: اللّغة والأدب العربي

الفرع: دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

صـراع القيـم في روايــة الآدميــون لإبراهيـم سعـدي

إعداد الطالبتين:

– ثيزيري كانة

– وردة كوبا

إشراف الأستاذ:

– د. تسعديت قوراري

أعضاء لجنة المناقشة:

– د. تسعديت بن احمد، أستاذة محاضر "أ"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ..... رئيسًا

– د. تسعديت قوراري،، أستاذة محاضرة "أ"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ..... مشرفًا ومقرّرًا

– د. حسينة فلاح، أستاذة محاضرة "أ"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ..... ممتحنة

السنة الجامعية: 2023م–2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء:

إلى نفسي الطموحة جدا، لقد ظنّنت أنني لن أستطيع ولكن من قال أنا لها، فنالها، وإن أبت أتيت بها رغما عنها، أنا اليوم أقف على عتبة تخرجي وأقطف ثمار تعبي وأرفع قبعتي بكلّ فخر، فاللّهم لك الحمد اذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، لأنك وفقتني على إتمام هذا البحث وتحقيق حلمي.

أهدي هذا النجاح إلى الذي زيّن اسمي بأجمل الألقاب، من دعمني بلا حدود وأعطاني بدون مقابل، إلى من كلّل العرق جبينه، إلى النّور الذي أنار دربي والسّراج الذي لا ينطفئ نوره بقلبي أبدا، داعمي الأول في مسيرتي وسندي وقوّتي وملاذي بعد الله، إلى مصدر فخري واعتزازي والدي العزيز.

إلى من جعل الله تحت أقدامها الجنة، واحتضنني قلبها قبل يدها، وسهلت لي الشّدائد بدعائها، إلى القلب الحنون والشّمعة التي كانت لي في اللّيالي المظلمات سر قوّتي ونجاحي والدتي الغالية.

إلى صديقة المواقف لا السّنين شريكة الدّرب والطموح البعيد زميلتي وردة التي كانت لي عونا في إنجاز هذا البحث.

وإلى كلّ من مد لي يد العون في إنجاز هذا البحث.

ثيزيري

إهداء:

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السّميع العليم، والصلاة والسّلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم :

أهدي ثمرة جهدي إلى من وهبني الحياة والأمل والنّشأة، إلى من أحمل اسمه بكلّ افتخار أبي.

إلى من منحتني القوة والعزيمة وكانت السبب في مواصلة دراستي، إلى من علمتني الصبر والاجتهاد، إلى معنى الحب والحنان والتفاني إلى بسمة الحياة وسرّ الوجود، إلى سندي الوحيد في الحياة إلى أمّي الحبيبة، كلّ الكلّمات لا تكفي لوصف حنانك وعطائك المتفاني، فأختصرها في كلّمة أحبك أمّي.

إلى أختي الحبيبة والوحيدة رزيقة، وإلى شريكتي في البحث وصديقتي ثيزيري التي شاركتني رحلة البحث.

وإلى كلّ عائلتي وأصدقائي بالمودّة وليس بالمدّة، وخاصة صديقاتي في الهلال الأحمر الجزائري.

ولكلّ من مدّ لي يد العون من قريب أو بعيد وساعدني في إنجاز هذا البحث وأخص بالذكر المشرفة الدكتورة "قوراري تسعديت".

وردة

شكر وتقدير:

بداية نحمد الله عزّ وجل الذي وفقنا على إتمام هذا البحث والهمنا الصّحة والعافية والعزيمة والصبر على المشاق التي واجهتنا لإنجاز بحثنا.

نتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان والتّقدير إلى أساتذتنا الأفاضل بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة مولود معمري–تيزي وزو–.

ونخصّ بالذّكر أستاذتنا الكريمة والمتواضعة المشرفة على البحث الدكتورة "قوراري تسعديت" فلها كلّ الاحترام والمحبّة والتّقدير، فلولا جهدها وصبرها ومرافقتها لهذا البحث لما كان بالصّورة التي هو عليها الآن.

شكرا لكلّ من أمدنا يد العون وساهم في إنجاز هذا البحث.

كانة ثيزيري

كوبا وردة.

مقدمة

تعتبر القيم الجوهر الانساني الذي تبنى عليه ثقافة المجتمعات، وتعدّ من أهم مكوناته حيث تعمل على تنظيم النّشاط الإنساني والسّلوك الفردي باعتبارها المرجع الاخلاقي الذي يلجأ إليه المجتمع لتساعده في عملية التّكيف والتّعايش مع الغير، كما أنّها الضّابط المنظّم للأفكار وتعمل على توجيه الميول والسّلوك وفق ما يضعه المجتمع من قواعد ومعايير فيحكم عليها بالقبول أو الرفض، وعندما يحدث الخلل في هذا النسق تتولد عنه مجموعة من المعضلات على المستوى القيمي أو البناء التنظيمي السّليم للمجتمع فينتج عنه ما يعرف بصراع القيم.

يمسّ صراع القيم المنظومة القيميّة لدى الفرد بالدرجة الأولى، وينعكس بطريقتين على الجماعة التي ينتمي إليها ذلك الفرد، فينعكس إما إيجابيا أو سلبيا، ويتجلى هذا الصّراع في جملة من التناقضات بين مجموعة من العادات والتقاليد والمفارقات السياسية والاقتصادية والثقافية، وبالإضافة إلى التناقض في الأساليب التي يتم الاعتماد عليها للتكيف مع الحياة وصعوباتها، وبما أن الإنسان كائن قلق ومتوتر بطبعه فهو يعيش صراعات تؤرقه، تتولد من خلال صراع بين الأفراد وبين الجماعات ثم بين القيم الوافدة والقيم المحلية فيتشكلّ بذلك صراع بين الأجيال والحضارات.

يتجسد الصّراع في الرّواية كظاهرة فنية يتحرك من خلالها البناء السردي الذي يتشكلّ منه قوام العمل الروائي، فالصّراع جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان، هو نتيجة لتصادم المصالح واختلاف الأهداف.

والصّراع بصفة عامة يمكن اعتباره ظاهرة معقّدة تنشأ عن تعارض بين طرفين أو أكثر حول احتياجاتهم أو قيمهم أو مصالحهم، فيكون بذلك شكلّا من أشكال التفاعل المتبادل بين الأفراد، حيث ينتج عن الاختلاف الحاصل بينهم، وعدم التّوافق في رؤاهم وتوجهاتهم.

وبما أن الصّراع أحد الأشكال الرّئيسية للتّفاعل السلبي بين المجتمعات، دُرس كظاهرة أدبية من خلال ما تناولته الرّوايات التي تصوّر الواقع وترصد مختلف تحولاته وتعبّر عن واقع الصّراع الإنساني وتكشف عن حقيقته، لذلك يعدّ الصّراع عنصرا أساسيا في الرّواية يبعث فيها الحركة والتّشويق، والصّراع لا يكون على وتيرة واحدة بل يتعدّد بتعدّد مضامينه وبالتالي تعدّد مفاهيمه.

تعدّ رواية "الآدميون" للروائي "إبراهيم سعدي" واحدة من الروايات الجزائرية التي جسّدت في متنها السردي بعض مظاهر الصّراع التي حاولنا ان نقف عندها في بحثنا.

ويرجع سبب اختيارنا لرواية "الآدميون" لـ "إبراهيم سعدي" إلى أسباب ذاتية، تكمن في ميلنا إلى فن الرّواية من جهة، والرغبة في الالتفات إلى روايات "إبراهيم سعدي" ، ورأينا أنه من واجبنا تناولها بالدراسة، خاصة وأنه أستاذ بجامعتنا، أما الاسباب الموضوعية منها فتتمثل في الرغبة في اكتشاف عوالم الكتابة السردية في رواية "الآدميون" وهي تجربة روائية مختلفة نسبيا عن روايات "إبراهيم سعدي" السابقة التي أخذت طابعا واقعيا متماشيا والحركة الأدبية والنقدية للجزائر وقت صدور هذه الروايات، في حين امتزج في رواية " الآدميون" الفلسفي والوجودي والواقعي.

وقد كان هدفنا من دراستنا لهذا الموضوع هو إبراز طبيعة الصّراع القيمي وتجلياته في رواية "الآدميون" واستنطاق الأنساق المضمرة فيها والوقوف عند أسلوب الكاتب والتزامه بقضايا الواقع الراهن مع بيان دوره كروائي مثقف يسعى إلى تعرية الواقع ونشر الوعي في المجتمع.

والاشكالية التي طرحها البحث هي: الى اي مدى ساهمت القيم في تجسيد التعايش في رواية الادميون؟ وكيف تشكلّ صراع القيم في الرّواية؟

واستجابة لمقتضيات المنهجية تم تقسيم البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة يليها ملاحق وقائمة لمصادر البحث ومراجعه وفهرس الموضوعات وذلك على النحو التالي:

الفصل الأول: عنوناه "تجليات صراع القيم في الرّواية" يندرج تحته ثلاث مباحث:

المبحث01 : مفهوم القيمة وتصنيف القيم.

المبحث02 : مفهوم الصّراع وصراع القيم.

المبحث03: صراع القيم المتضادة في الرّواية.

حللنا في هذا الفصل أهمّ القيم الواردة في الرّواية، وركّزنا على القيم المتضادة باعتبارها ثنائيات ضدّية جسّدت صراع الإنسان في الوجود وصراع الخير والشّر، الذي تولّدت عنه مجموعة من القيم السّلبية التي جسّدتها الرّواية في شخصيات وضيعة وشخصيات نبيلة وكان الصّراع بين عالمين، عالم المثل العليا الذي ينشده الرّوائي، وعالم الواقع، من خلال تفكيك القيم السّلبية التي تعرقل رحلة الإنسان نحو عالم المثل.

أمّا الفصل الثّاني فعنوناه ب "صراع الأنساق الثّقافية في الرّواية " واحتوى على ثلاث مباحث أيضا:

المبحث01: رمزية العنوان ونسق الخطيئة.

المبحث02: نسق القلق الوجودي.

المبحث03: نسق التعايش وصراع الوافد والمقيم.

وحاولنا في هذا الفصل استجلاء بعض الأنساق الثّقافية التي حاولت الرّواية تمريرها كنسق التّعايش الذي غدا ضرورة قصوى، كما في الرّواية كما في الواقع، لضمان استمرار الوجود الإنساني، بعد هذا الزحم من المتناقضات والصّراعات وما نجم عنها من دمار، كذلك

نسق القلق الوجودي والبحث عن عالم المثل حيث يتحقق الأمان والحلم، أما نسق الخطيئة فقد حاولنا أن نربط فيه بين خطيئة "آدم" وخطيئة شخصية من الشخصيات الرّئيسة في الرّواية وما تولد عنها من أفعال دمرت "المأمونة" مكان وقوع أحداث الرّواية.

وختمنا البحث بخاتمة عددنا فيها أهم النّتائج المتوصل إليها، كما ذيلنا البحث بملحق تناولنا فيه التّعريف بالرّوائي وبعض أعماله وبعض الدّراسات التي أنجزت حول إبداعه وملخص للرواية.

وقد اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع، منها رواية "الآدميون" مرجع اساسي للبحث، بالإضافة إلى مجموعة من المراجع نذكر منها:

– الصّراع القيمي وأثره في التّربية لـ "سعاد جبر سعيد" الصادر عن عالم الكتب للنّشر والتوزيع، الأُردن.

– مقال فينومينولوجيا القيم المبتورة لـ "منال محمد خليق" الصادر عن مجلة الاستغراب.

– نظريّة القيمة في الفكر المعاصر لـ "صلاح قنصوه" الصادر عن دار الثّقافة للنّشر والتوزيع، القاهرة.

– الشّباب بين صراع القيم وأزمة الثقة لـ "محمد بومخلوف" الصادر عن مجلة أفكار وآفاق

بالإضافة إلى بعض الدّراسات التي أنجزت حول أعمال إبراهيم سعدي والتي أضاءت لنا بعض جوانب البحث نذكر منها:

– كهينة سعاد، الأنساق الثّقافية في رواية الآدميون لـ"إبراهيم سعدي"، مذكرة لنيل شهادة الماستر، بإشراف شامية مكلي جامعة مولود معمري –تيزي وزو– الجزائر 2019–2020.

– شريفة بوكاف وعلاوة ناصري، إيديولوجيا الكاتب في رواية الآدميون لإبراهيم سعدي –مقاربة تأويلية– جامعة العربي تبسي ،مجلة البحوث والدراسات الانسانية، الجزائر، 2022.

ونظرا لطبيعة الموضوع فقد استلزم الاعتماد على بعض آليات النقد الثقافي لاستنطاق بعض الأنساق الواردة في الخطاب السردي للرواية والاتكاء على آلية التأويل التي تستوجب الحفر في خلفيات المتن السردي والنبش في المضمر والمستور.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث فتتمثل في قلة دراسات المهتمين بدراسة خطاب صراع القيم في الرّواية الجزائرية، وان وجدت فإنّ الجانب النظري هو الذي طغى عليها مغيبين فيها الجانب التطبيقي، بالإضافة إلى تكرار المادة العلمية نفسها في عدد من المراجع، بالإضافة إلى ضيق الوقت المحدّد لإنجاز البحث.

وفي الختام نحمد الله عز وجل الذي وفقنا على إتمام هذا البحث ونأمل ان نكون قد وفقنا في مقاربة إشكالية البحث، ويبقى اجتهادنا محاولة "فلكلّ شيء اذا ما تم نقصان"، كما نتقدم بجزيل الشكر ووافر التقدير والعرفان إلى الأستاذة المشرفة "قوراري تسعديت" التي جادت علينا بنصائحها ومتابعة البحث وتنقيحه حتى استدب للبحث قوامه، كما نتقدم بجزيل الشكر إلى اللجنة الموقرة التي ستناقش وتصوب هذا البحث، فلها منا كلّ الاحترام والتقدير.

الفصل الأوّل

تجليات صراع القيم في الرّواية

1- مفهوم القيمة وتصنيف القيم.

2- مفهوم الصّراع وصراع القيم.

3- صراع القيم المتضادة في الرّواية.

تمهيد:

يشير صراع القيم إلى ذلك التّناقض الحاصل بين القيم المتنافرة سواءً على الصّعيد الاجتماعي أو الفردي، فهو من المفاهيم الأساسية التي تبنى عليها الرّواية باعتبارها ظاهرة فنيّة تعالج قضايا إنسانيّة، وتسعى إلى إبراز الواقع ورصد أحداثها، من خلال تشكيل صراع تتصادم فيه مجموعة من القضايا سواءً تعلقت بمواقف معيّنة أو عادات مكتسبة أو تقاليد موروثة أو قيم متضادة إذ تعمل على توجيه السّلوك البشري وتنظيم الحياة الإنسانيّة في قالب أدبيّ فنيّ وجماليّ يؤثّر على القارئ أو المتلقي بطريقة غير مباشرة.

1- مفهوم القيمة وتصنيف القيم:

أ- المفهوم اللّغوي للقيمة:

تدلّ كلمة القيمة من النّاحية اللّغويّة على معاني مختلفة، نحاول أن نبرز أهم تعاريفها كما جاء في بعض المعاجم العربيّة، منها ما جاء في المعجم الوسيط: «قيمة الشّيء قدره وقيمة المتاع: ثمنه (...) ويقال ما لفلان قيمة: ماله ثبات وداوم من الأمر»[1]، فالقيمة هنا مرتبطة بالثّبات والمداومة على فعل معين.

وقد جاء في "الصحاح": «والقيمة: واحدة، وأصله الواو، لأنّه يقوم مقام الشّيء، يقال قومتُ السّلعة، وأهل مكة يقولون استقمت السلعة، وهما بمعنى والاستقامة: الاعتدال، يقال انتقام له الأمر وقوله تعالى: «فاستقيموا إليه» [فصلت-6-] أي: في التوجّه إليه دون الآلهة، وقومت الشّيء فهو قديم، أي مستقيم وقولهم: ما أقومه، شاذ، وقوله تعالى: «وذلك دين القيمة» [البنية -5-]. إنما أنثه لأنّه أراد الملّة الحنيفة. والقوام: العدل. قال تعالى: «وكان بين ذلك قوامًا» [الفرقان-67-]»[2]. والقيمة هنا تكتسب صفة العدل والاعتدال.

أمّا في المحيط في اللغة: «القائم في الملك: الحافظ له.... وقيم القوم: الذي يسُوس أمرهم ويقوم به، والقامة: الساسة، والقيمة: الملة المستقيمة ورمع قويم وقوام، ورجل قويم والقيام: العمادة»[3] ونلاحظ أنّ دلالة القيمة هنا مرتبطة بالاستقامة.

وكلّ هذه المعاني تحيلنا إلى أنّ القيمة ترتبط بكلّ ما هو ثابت ودائم في ذات الانسان، فيحافظ الإنسان عليها ويداوم على مراعاتها وممارستها في جميع شؤونه وتحافظ على استمرارية بقائه.

---

[1]- مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ج2، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2008، ص 768.

[2]- أبا ناصر اسماعيل بن عمادة الجوهري، الصحاح، دار الحديث، دط، القاهرة، 2009، ص 978.

[3]- كافي الكفاة وآخرون، المحيط في اللّغة، ج6، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1994، ص 58- 59.

ب- المفهوم الاصطلاحي للقيمة:

اختلف تعريف القيم وتعددت مفاهيم مصطلح القيم ولكنّها تشترك في أنّ القيم مجموعة من المعايير والقواعد التي تضبط حياة الإنسان وتميّزه عن الحيوان. وبها تنتظم حياة الفرد والجماعة، فإنّها كذلك «حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديًا بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشّرع»[1]، ومضمون هذا المفهوم نجده أيضا عند مجموعة من الباحثين الذين يعرّفون القيم على أنّها «مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيس به ونحدد على أساسه المرغوب فيه عنه»[2] وهذا المفهوم يجعل من القيمة المعيار والمحرّك الذي يعتمده الإنسان في تنظيم حياته وفقًا لما يرغب فيه.

وهذا الاختلاف في تحديد مفهوم واحد للقيم يعود إلى اختلاف المرجعيات الفكريّة والدّينيّة والمنطلقات الفلسفيّة والنظريّة، فعلى سبيل المثال يقول الدكتور "ماجد عرسان الكيلاني": «القيم محطات ومقاييس تحكم بها على الأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها أو من حيث سوءها وعدم قيمتها وكراهيتها أو في منزلة معيّنة بين هذين الحدين.»[3] وهذا التّعريف لا يخرج عمّا سبق من التّعاريف الأخرى على الرّغم من اختلاف المرجعيات التي تمّ الاعتماد عليها في رصد مفهوم مصطلح القيم، فعندما نتأمل في بعض المفاهيم التي وضعها مجموعة من المفكرين فإننا نخرج برؤى متباينة نلاحظها من خلال ما أوردته "سعاد جبر سعيد" في كتابها "الصّراع القيمي وأثره في التربيّة"، حيث نلاحظ أن القيمة تحمل دلالات مختلفة، وهذا الاختلاف يعود إلى مرجعية كلّ باحث، فهناك من يعرفها على أنّها «معيار الحكم على الأشياء، أو نمط من أنماط الحياة، وقد تكون مفهومًا واسعًا أو محدودًا، أو اعتقاد قويًا أو

[1]- مانع بن محمد بن علي المانع، القيم بين الإسلام والغرب، دراسة تأصيلية مقارنة، دار الفضيلة، ط1، السعودية، 2005، ص 15.

[2]- صالح عبد الله المكي وآخرون، نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرّسول الكريم صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة، ط4، حدّة، د.ت، ص 78.

[3]- ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربيّة الإسلاميّة، دار العلم، دط، دمشق، 1987، ص 82.

ضعيفًا، هدفًا أو وسيلة، صفة شخصية أو ميزة اجتماعية، طريقة في التّفكير أو ممارسة وعملاً وتطبيقًا، تكون القيمة طريقة تنظيميّة أو إدارية موقف أو مبدأ يتقبله الفرد ويتمسّك به المجتمع والقيمة تكون مرغوبًا عنها أو ما شبه ذلك»[1].

وتأكيد إلى المفهوم نفسه جماعة أخرى من المفكرين، إذ يؤكّدون على أنّ القيمة «عبارة عن الأحكام التي يصدرها الفرد بدرجات معيّنة من التّفضيل أو عدم التّفضيل للموضوعات أو الأشياء، وذلك في بنود تقويمه لهذه الموضوعات، وتتمّ العمليّة من خلال التّفاعل بين الأفراد بمعارفه وخبراته، وبين ممثّلي الإطار الحضاري الذي يعيش فيه ويكتسب من خلاله الخبرات والمعارف»[2] وعليه فإنّ القيم هي أحكام تفضيلية تتشكلّ من خلال التّفاعل بين الأفراد والمجتمع، فتلعب دورًا هامًا في توجيه سلوكه وتشكيل شخصيته فتستخدم كمقياس للحكم بين الأشياء والأفكار والسلوكيات، وتحدّد أنماط الحياة وترسم مسارها باعتبارها وسيلة يتمّ الاعتماد عليها من أجل تحقيق غاية معيّنة، كما يمكن أن تكون هدفًا يسعى المجتمع لبلوغه ، فتتجسّد في الفرد أو الجماعة من خلال مواقف تتبناه هذه الجماعة، وذلك في إطار الرغبة والحرص على تنظيم وتسيير أمور المجتمع بشكلّ سوي، إذ «ترسم وحدة السّلوك وتحدّد إمكانات التّفاعل فهي مكمن قوّة وشدّة السّلوك السوي، وهي تطبع الإنسان على عناصر حضارية، فالحضارة لا تنطلق إلاّ وتحدّدها مجموعة من القيم»[3] وبالتّالي فإنّ القيم هي المبادئ والمعايير التي تحدّد سلوك الإنسان وتؤثّر على تفاعله مع الآخرين، وهي تلعب دورًا حاسمًا في تشكيل الحضارة لأنّها تحدّد المبادئ التي تحكم المجتمع وتوجهه.

والقيم عمومًا هي معايير أساسية تنظم السلوكات، وتضمن للمجتمع تجانسه وتماسكه ووحدته، إذ تحدّد أفكاره وقراراته وتصنع تصرفاته في مختلف المواقف بشكلّ متسق ومنتظم.

---

[1]– سعاد جبر سعيد، الصّراع القيمي وأثره في التربيّة. عالم الكتب للنّشر والتّوزيع، ط1، الأردن، 2015، ص 19.

[2]– المرجع نفسه، ص 19.

[3]– نفسه، ص 18.

جـ- تصنيف منظومة القيم:

انبثق مصطلح منظومة القيم من تصور مفاده أنّ القيمة لا يمكن دراستها بمعزل عن مجموع القيم الأخرى سواءً كانت متجاورة فيما بينها أو متناقضة لها، فلا يمكن فهم قيمة ما لوحدها، وهي في مجموعها تشكلّ نسقًا من القيم التي تتفاعل لتؤدي وظيفة معيّنة للفرد أو الجماعة، ومنظومة القيم بشكلّ عام هي «عبارة عن مجموعة القيم التي تنتظّم في نسق متساند بنائيًا ومتباينًا وظيفيًا داخل إطار ينظمها ويشملها في تدرج خاص»[1] وعليه فإنّ منظومة القيم تقوم برصد كلّ القيم وتصنفها حسب حسنها وقبحها مع تبيان المتناقضات منها والمتجاورات.

لقد اختلف الباحثون في تصنيف النّسق القيمي ولذلك تندرج ضمنه أنواع مختلفة من القيم والتي يلخصها "شلر ماركس" في أربعة مستويات، المستوى الأدنى، مستوى القيم الحيوية، مستوى القيم الروحية، ومستوى القيم الدينيّة وقوامها التّقديس[2]. إذ تندرج في هذه المستويات الأربعة كلّ القيم التي يتبناها الفرد في حياته الفردية الخاصّة أو الاجتماعية المشتركة، وتتجلى هذه المستويات في رواية "الآدميون" "لإبراهيم سعدى" على النّحو التّالي:

- مستوى القيم الأدنى:

يتمثّل هذا المستوى في قيم الطّبيعة الحسّية من حيث الممتع وغير الممتع، إذ «تتراوح هذه القيم من الملائم إلى غير الملائم، وقد ربط "شلر" هذه القيم بالإحساس وما يتضمنه من متعة وألم»[3]. فالقيم الحسّية هنا تشير إلى الأحكام التي يصدرها الفرد على الأشياء بناءًا على تجاربه الحسّية أي ما يراه أو يسمعه أو يشمّه أو يتذوّقه. ويبرز هذا المستوى في الرّواية من خلال مجموعة من المشاهد التي تولد مشاعر حسّية مختلفة في نفسيّة الفرد

[1]- سعاد جبر سعيد، الصّراع القيمي وأثره في التربية، ص 20.

[2]- ينظر، حسن عبد الله حسن، تصنيف القيم بين الإسلام والغرب، مجلّة مع الشباب ع 04، لبنان، 2019، ص 12-13.

[3]- منال محمد خليف، فينومينولوجيا القيم المبتورة، مجلّة الاستغراب، ع27، لبنان، 2022، ص 200.

فعلى سبيل المثال يقول "ماشاهو" –أحد شخصيات الرواية– عندما قام بالتّبليغ عن أمر الجثة التي عثر عليها «لقد وجدت ظهره يعمل شقوقًا دامية... ودما مراقًا في كلّ مكان ووجهه مشوّهًا عليه ألم صامت لا حدود له، لا تستطيع أن تنظر إليه.»[1] فهذا المشهد يثير في النّفس مشاعر الخوف والتّعاطف مع الضحيّة التي ماتت بطريقة مأساوية حيث تعرّضت للتّعذيب. فالخوف هنا والشّعور بالعطف قيمتين حسيتين تساعدان على فهم العالم والتّفاعل مع الأشياء. فيتقرّب الفرد من خلالهما إلى ما يلائمه ويتعاطف معه ويتجنّب ما لا يلائمه ويسبّب له الخوف وذلك حفاظًا على سلامته.

كما وردت في موضع آخر قيمتي السّلم والأمان وهما قيمتان حسيتان تظهران من خلال قول "ماشاهو" وهو يصف أرض المراعي الوديعة «فوق التلّة رأينا المراعي تنبسط أسفلها مغطاة بأعشاب عارية مختلفة ألوانها، ترعى فيها هنا وهناك ماشية، تعبّرها في بعض الجهات جداول أو تستقرّ فيها غدران. وحيث لا يوجد عشب ولا ماشية، تقوم أشجار وارفة باسقة مثمرة وغير مثمرة، أو تلهو طيور، أسرابًا أو متفرقة، في رحاب السماء.»[2] كما نجد في موضع آخر من الرّواية «إنّ حضارتنا لا تعرف القتل ولا يقتات أهلها من الكائنات الحيّة»[3] نلاحظ من خلال هذين الاقتباسين أنّ قيمة السلم هي المركز الأساس الذي بنيت عليه مملكة "المأمونة"، حيث بلغت درجة التعايش أن شملت الحيوانات ككائنات حيّة لها الحقّ في الحياة، تتمتع بكلّ ملذاتها دون تدخل بشري يؤدي إلى هلاكها أو استغلالها.

والسلم قيمة حسّية يشعر بها الإنسان، حيث يعيش في ظروف توفر له الشّعور بالأمان والسّلام، حيث تكون حياته بعيدة عن أي خطر يتربص به أو يسبب له حالة من التوتّر والقلق.

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الآدميون، مشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2018، ص 10.

[2]– رواية "الآدميون"، ص 157.

[3]– المرجع نفسه، ص 297.

مستوى القيم الحيوية:

يشمل مستوى القيم الحيويّة كلّ ما يتعلّق بالشّعور بالحياة والتقابلات التي تتعرض فيما بينها «فتشمل النبيل والمبتذل، إذ تشمل جميع أنماط مشاعر الحياة والشّعور بالسّعادة أو الحزن والشّجاعة والقلق والدوافع الانتقامية»[1] فتعبّر هذه الأحاسيس عن قيم وثقافة خاصّة يقوم عليها مجتمع من المجتمعات.

جاءت هذه القيم الحيوية في رواية "الآدميون" من خلال مجموعة من المظاهر الغريبة التي تحدث لأوّل مرّة في حضارة "المأمونة" وكان أبرز هذه القيم القلق الذي أعتبر ظاهرة نادرة تحدث مرّة واحدة في العمر، فورد على لسان "ماشاهو" في رسالته للمنقب "هاء" «لا تعرف معنى مفردة القلق هو أمر لا أستغربه لأنّه لم يمض على ظهور معناها في المملكة وقت طويل، فهي تعني أن يكون المخلوق منشغلاً انشغالاً مصحوبا بعده بعدم الرّاحة وبتدافع نبضات القلب وسيلان الماء على الوجه أيضًا»[2] فينتج عن هذا القلق شعور بالتوتّر والانزعاج، مما يسبب حالة من الغضب والتّفكير السّلبي الذي يؤدّي إلى إثارة الدوافع الانتقامية وبالتالي القتل، وهذا ما يتجسّد في الرّواية من خلال تعليل "ماشاهو" لسبب قتله لصديقه "إيلام"، فيقول: «لا أظن بأنني سأختار الفاضل "هاء" قتل إيلام لو أن الظروف لم تحتم، لقد أحببته قدر محبتي لك»[3] فـ "ماشاهو" لم يقتل صديقه برغبة منه، وإنّما لقلقه من اكتشاف أمره وإفشاء سرّه الكبير والمتمثّل في كونه من حضارة بني آدم تلك الحضارة الدموية التي تقتات على لحوم الحيوانات وأساسها التناقض في كلّ أمر فلكلّ شيء فيها نقيض وذلك ما ينافي قيم ومبادئ حضارة المأمونة التي جاء إليها بهدف تدميرها ونشر الشرّ ومظاهره فيها، والقلق هنا قيمة حيويّة من خلالها حافظ "ماشاهو" على حياته في المملكة على حساب حياة صديقه، وهذا الدافع (القلق) قيمة مبتذلة يجب اجتنابها، إذ يمكن لها أن

[1]– منال محمد خليف، فينومينولوجيا القيم المبثورة، ص 201.

[2]– رواية "الآدميون"، ص 91.

[3]– المرجع نفسه، ص 170.

تعزّز الدوافع الانتقاميّة في الضحية وأهلها، ولا يتمّ ذلك إلاّ من خلال تعزيز روح القيم النّبيلة والتّحلي بالشّجاعة في سبيل الشّعور بالسّعادة التي ضاعت في زمن التيه وبقيّت المملكة تتحصر عليها، وهذا ما نستخلصه من عبارة جاءت على لسان السّارد «عاشت المملكة في هناء وأمان بيوتها مشرّعة الأبواب للقريب وللبعيد لا شيء يحدث فيها»[1] ويضيف في موضع آخر «عاشوا دائمًا يتركون الأبواب مشروعة، آمنين مطمئنين يسيرون في الطّريق باشين بسبب أو من دونه»[2] فالحياة في المملكة كانت تقوم على وتيرة واحدة وأهمّ سمّة تميّزها هي الأمان، وبناءًا على ذلك سميّت بالمأمونة، فورد هذا في الرّواية من خلال السؤال الذي طرحه "ماشاهو" للمنقب «لقد ظلّت المملكة إلى وقت قريب مملكة الرّاحة والأمان، أفليس لهذا بالذّات سميّت بالمأمونة»[3] فعند طرح هذا السؤال لم يكن الغرض منه إيجاد إجابة، بل كان يقارن بين فترتين زمنيتين مختلفتين، فترة زمنيّة ساد فيها الأمن والسّلم والحياة فيها خط زمني مستقيم، وفترة زمنيّة أخرى متناقضة تعتبر فيها الحياة تجربة مليئة بالمشاعر المختلطة. ففي بعض الأحيان تحدث اضطرابات يصحبها القلق فيتولّد عنها الغضب الذي يثير الرّغبة في القتال والانتقام، وأحيانًا أخرى يسود الاستقرار الذي يتولّد عنه الشّعور بالسّعادة والرّاحة والاطمئنان، وبصفة عامّة أصبحت الحياة في المأمونة مزيجًا بين النبل والمبتذل والمميّز والشّائع.

- مستوى القيم الرّوحية:

هي تلك القيم التي تتعلّق بالجانب الدّاخلي للفرد «فتشمل قيم الحقيقة والجمال والعدل»[4] ويمكن القول بأنّ هذه القيم ترتبط بالتوجّه الدّاخلي للفرد وبارتباطه بالعالم الرّوحي فيمكن اعتبارها المرجع الرّئيسي في اتّخاذ القرارات فهي «ترتبط بكلّ ما هو جميل وقبيح

[1]- رواية الآدميون، ص 42.

[2]- المرجع نفسه، ص 65.

[3]- نفسه، ص 170.

[4]- حسن عبد الله حسن، تصنيف القيم بين الإسلام والعرب، ص 12- 13.

وبالصّواب والخطأ، فيندرج ضمنها الخير والشرّ، فيجب التّضحية في سبيل تحقيقها»[1] وهذا يعني أنّ التّضاد هو سمّة مستوى القيم الرّوحية فالخير والشرّ مثلاً ثنائية ضدّية لا يمكن فهم أحدهما بمعزل عن الأخرى. لقد قامت على هذه الثنائية أهم أحداث الرواية، وتفرّعت عن قيمة الخير مجموعة من القيم ساهمت في انتشاره، دامت لعقد من الزّمن في مملكة المأمونة ولكنّ دوام الحال من المحال إذ سرعان ما ظهر لها نقيض وهو ما سيعرف بمصطلح الشرّ كقيمة مناقضة تتعارض والسّائد في المملكة فيقول السّارد "حسن أحمد طومياز" في هذا الصّدد «أصبح الشرّ منتشرًا في المملكة وملفوظاته دخلت أخيرًا معجمها اللّغويّ، سيصبح لكلّ شيء نقيضه»[2] وهنا إشارة إلى أنّ السّائد هو قيم متجاورة وليست متناقضة، فالشرّ هو القيمة التي ستولّد المتناقضات، فيعرفه "طومياز" في موضع آخر من الرّواية بقوله «الشرّ لفظة يطلقها الآدميون على مجموعة من الأفعال يقومون بها مختلفة فيما بينها ولذلك تملك عندهم أسماء يجمع بينها شيء مشترك يعلوا له لفظة الشرّ للدّلالة عليه»[3] وبناءًا على ذلك فإنّ للشرّ مظاهر تتجلى من خلال التصرّفات التي يُنتهك بها حق من حقوق الإنسان، ولعلّ أبرز مظاهره، الغواية والخداع، والخيانة، جاء على لسان السّارد «أصبح للخير نقيضه في المملكة (...) سينشأ أيّامها نقيض الحبّ بظهور البغض، وللأمانة عندما يولد الخداع وللصدق عندما ينتشر الكذب»[4] فبعدما كانت المأمونة تعيش في عالم مثالي لا يسود فيه إلاّ الخير ومظاهره، فاذا بها تستيقظ على فاجعة جريمة القتل التي خلفت وراءها الشرّ بمظاهره المختلفة لتمسّ الكيان الرّوحي لأهل المملكة وتهدم السّلام الدّاخلي والرّوح الطيّبة لذويها.

[1]– منال محمد خليف، فينومينولوجيا القيم المبتورة، ص 201.

[2]– رواية الآدميون، ص 75.

[3]– المرجع نفسه، ص 198.

[4]– نفسه، ص 75.

– مستوى القيم الدّينيّة:

إنّ القيم المندرجة تحت هذا المستوى تمتلك طابعًا خاصًا، فقوامها المقدّس وموضوعها المطلق «فتشمل مشاعر الإيمان والعبادة وتكون مهيمنة على سائر القيم»[1] إضافة إلى ذلك فهي مجموعة من القيم التي تميّز الفرد بإدراكه للكون وبإيمانه بأنّ هناك قوّة تسيطر على العالم الذي يعيش فيه، ويحاول أن يربط نفسه بهذه القوّة[2] فتلهم هذه القيم الفرد ليعيش بمبادئ مثالية تؤثّر على سائر القيم التي توجه سلوكاته وتصرفاته، فهي تعزّز الأخلاق والرّوابط الإنسانية من خلال فعل العبادة، والإيمان بأنّ هناك قوّة تسيطر على الكون.

فتكون هذه القيم دافعًا قويًا للسّلوك الحميد، فتتميّز بشموليتها وثباتها وتكاملها، وهذا ما يجعلها مهيمنة على سائر القيم من جهة ومتّصلة باللّه من جهة أخرى.

يتجسّد هذا المستوى من القيم في الرّواية من خلال شخصيّة "ماشاهو" وذلك في حديثه عن الجنّة والجحيم، العقاب والثّواب، الصّلاة، الطرد من الجنّة، في الرسالة التي كتبها للمنقب "هاء" يصف فيها المراعي التي ذهب إليها رفقة زوجته، ونُمثّل من الرّواية بعض المقتطفات التي وردت فيها هذه الكلّمات على هذا النّحو:

«كانت منار لا تزال تنعم بنوم زمن الفردوس»[3].

«الأمر سيطول كثيرًا سيدى المنقب، لو أشرح لك معنى كلّمة الجنّة وكلّ ما تحيل إليه وعلى المواضيع التي ستقودنا إليها»[4].

«تعاني من جحيم علامات الشّعور بالذّنب (....) معنى مفردة الجحيم (....) ذلك أنّ الموضوع جدّ واسع (....) إنّه يتعلّق بظاهرة الأنبياء والمرسلين»[5].

---

[1]– حسن عبد الله حسن، تصنيف القيم بين الإسلام والغرب، ص 13.

[2]– ينظر، منال محمد خليف، فينومينولوجيا، القيم المبتورة، ص 202.

[3]– رواية "الآدميون"، ص 44.

[4]– المرجع نفسه، ص 105.

[5]– نفسه، ص 151.

«مشهد هند (...) أخر صورة أحتفظ بها من صور الجنّة قبل خروجنا منها مطرودين وملعونين»[1].

يمكن القول بأنّ الأمثلة المذكورة أعلاه جاءت لتبيّن الإيمان الراسخ لشخصيّة "نازر ماشاهو" وتشبعه بالقيم الدّينيّة فهو يؤمن يوم الحساب، ذلك اليوم الذي لا مفر منه، إذ يجزى المرء على ما قدّمه أو يعاقب على ما اِقترفه من ذنب وخطيئة فيكون نصيبه إمّا الجنّة وهي في الرّواية المراعي الوديعة، أو الفردوس، المكان الذي خصّصه "ماشاهو" للاختلاء بزوجته، أمّا العقاب، فيتمثّل في الحالة التي آلت إليها زوجته بعدما كشف لها عن آدميته، وأنّه كائن يتغذى أيضًا على لحوم الحيوانات، الأمر الذي سبّب لها صدمة، وجعلها في حالة مزرية لفترة من الزّمن لتموت بعد ذلك من شدّة الصّدمة التي تعرّضت لها والكوابيس التي راودتها منذ ذلك اليوم المشؤوم الذي دخلت فيه إلى تلك الأرض الطيّبة لتدنيسها.

ومن هنا يمكننا تصنيف القيم الواردة في الرّواية في شكل هرم على النّحو التّالي:

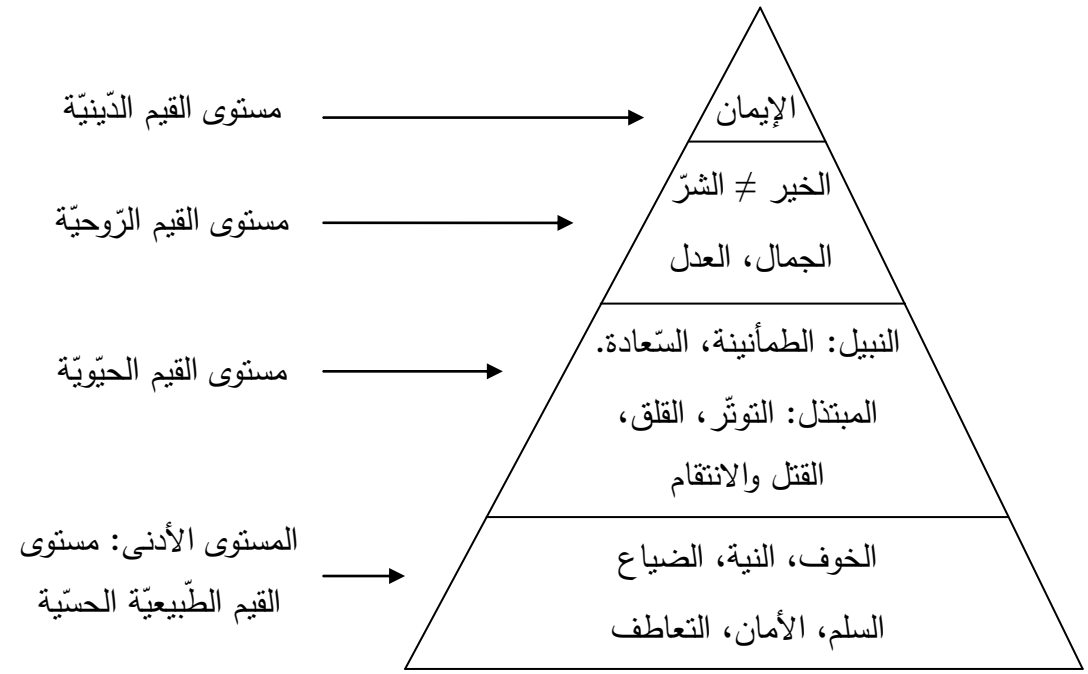

[1]– رواية الآدميون، ص 163.

نلاحظ من خلال هذا المخطط التّوضيحي لمستوى القيم الواردة في الرّواية أنّ القيم تخضع لمبدأ واحد أساسي وهو مبدأ القيم الدّينيّة، فهي التي تقوم على تسيير وتوجيه باقي القيم المندرجة تحتها، إذ يجب مثلاً الإيمان بأنّ قيمة الخير وما تحملها من مظاهر هي سبب في استمرار البشريّة وانتشار السّلم والأمن، وأنّ الشرّ بمظاهره المختلفة يولد حالة من اللاستقرار والتّشتت والضّياع، وفي الحالتين نجد من يجسد هاتين القيمتين على أرض الواقع، وهذا ما يذهب إليه "شيلر" حين يقول «القيمة تولد من فعل يحققها، ولكنّ هذا الفعل ينقل إلى حيز العالم قيمة، أي قيمة معطاة على أنّها أعلى، غير أنّ القيمة المعطاة تستلزم أن تصدر عن فاعل متعال يعطيها»[1] فالقيمة هنا نتيجة لفعل قام به فاعل تلبية لأمْرٍ أُمِرَ به من جهة عُليا.

ويبقى تصنيف "شيلر" واحد ضمن مجموعة كبيرة من التّصنيفات التي قامت بترتيب القيم وفق فعالياتها وحساسيتها، «فليس هناك تصنيف موحّد لمواقف الباحثين المتعدّدة من نظرية القيمة، ولكن تتباين التّصنيفات بتباين المحتوى النّوعي للقيمة»[2] وعليه فإنّ تصنيف القيم ليس بالأمر السّهل، فهناك من يصنّفها حسب المحتوى، فيقسّمها إلى قيم نظريّة اقتصاديّة، جماليّة، اجتماعيّة، سياسيّة ودينيّة، وهناك من يصنّفها حسب مقصدها فيميّز بين القيم الوسائليّة والقيم الغائية.

وبذلك يمكن القول أنّ دراسة القيم تتضمّن عدّة نواحي تمثّل جانبًا أساسيًا لتقوم عليه أثناء عمليّة التّصنيف وذلك لتسهيل دراستها وتحديدها.

[1]– سامي شهيد مشكور، فلسفة القيم في الفكر الفلسفي الغربي المعاصر "ماكس شيلر"، و"نيقولاي هارتمان"، أنموذجًا، مجلّة آداب الكوفة، ع53، ج1، العراق، سبتمبر 2022، ص 271.

[2]– صالح قنصوه، نظرية القيمة في الفكر المعاصر، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، دط، القاهرة، 1986، ص 53.

2- مفهوم الصّراع وصراع القيم:

أ- المفهوم اللّغوي للصراع:

وردت كلّمة الصّراع في المعاجم العربية بصيغ مختلفة حيث نجد مادة "ص. ر.ع" كما جاء في معجم لسان العرب لابن المنظور: «صرع: الصّرع: الطرح بالأرض وخصّه في التهذيب بالإنسان، صارعه يصرعه صَرعا وصِرعا (...) والصّراع معالجتهما أيهما يصرع صاحبه. وفي الحديث "مثل المؤمن كالخامة من الزرع تصرعها الريح قوة وتعدّلها أخرى" أي تميلها وترميها من جانب إلى جانب والمصرع موضع ومصدر، قال والصرعة: «الحليم عند الغضب لأن حلمه يصرع غضبه على ضد معنى قولهم: الغضب غول الحِلم»[1] ويتضمن الصراع هنا معنى التهذيب.

أمّا ما جاء في معجم الوسيط: «صرعه-صرعا، ومصرعا: طرحه على الأرض ويقال صرعته المنية وصرعت الريح الزرع، (صارعه) مصارعة، وصراعا: غالبه في المصارعة (اصطرع) القوم: تصارعوا. تصارع الرجلان: حاول كلّ منهما أن يصرع الآخر. (المصارعة رياضة بدنية عنيفة تجرى بين اثنين يحاول كلّ منهما أن يصرع الآخر أصول مقررة(محدثة)»[2]، ومفهوم الصّراع هنا مرتبط بالمصارعة والخصومة بين طرفين أو أكثر.

وعليه فإن الصّراع في مفهومه اللغوي مشتق من (ص.ر.ع) والتي تعني الخصام والشجار والنزاع، كما أنها تحمل معنى المنافسة والمواجهة بين طرفين أو أكثر بالإضافة إلى تضمينه معنى التهذيب والسلوك القويم.

---

[1]-محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين ابن المنظور، لسان العرب، دار الصادر، المجلد08، دط، د.ت، بيروت، لبنان، ص197-198.

[2]- مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004، ص513.

ب- المفهوم الاصطلاحي للصراع:

يعتبر الصّراع سمة العصر الذي يعيشه الإنسان، إذ يستند -الصّراع- على فكرة محورية أساسها التناقض الذي تعيشه التنظيمات الاجتماعية، فيعد بذلك قانونا من قوانين الحياة العامة حيث يحاول الإنسان من خلاله أن يحمي عاداته وتقاليده، فالحياة الاجتماعية تمر بمجموعة من التحديات نتيجة التطور والمثاقفة والانتشار السريع للعولمة وهذا ما يخلف صراعات متنوعة في المجتمع البشري.

عُرّف الصّراع في المنظومة الأدبية بعدة تعريفات، فنجد على سبيل المثال من يعرفه على أنه ذلك «الاتجاه الذي يهدف إلى الفوز على الأفراد أو الجماعات المعارضة أو الأضرار بهم وبممتلكاتهم وثقافتهم، وبأي شيء يتعلق بهم، وينشأ هذا الاتجاه أو السلوك عند تعارض المصالح في المواقف التنافسية وحين يدرك الفرد أنه لا سبيل إلى التوافق بين مصالحه ومصالح الغريم فتنقلب المنافسة بينهما إلى صراع حيث يعمل كلّ منهما على تحطيم الآخر»[1] وعليه فإن الصّراع عبارة عن هجوم من طرف معين وفي مقابله دفاع من الطرف الآخر، فيحدث بذلك تعارض بين جهات مختلفة، وبذلك فهو «موقف يتسم بالمنافسة، تصبح فيه الأطراف المتصارعة على وعي بمتناقضاتها، ويسعى كلّ طرف منها إلى تحقيق غاية على حساب الطرف الآخر، وهو حالة تفاعلية تظهر عند عدم الاتفاق، وعدم الانسجام والاختلاف داخل الجماعات وفيما بينها»[2] وبناءً على ذلك فإن الصّراع عبارة عن وضع تشتبك فيه جماعة معينة من الناس حول قضية ما يمكن أن تتعلق بقيم أو معتقدات كما يمكن أن تتعلق بأهداف وقضايا سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، فتتعدّد بذلك وسائله وأسبابه. فنجد في هذا الصدد من يعرف الصّراع على أنه "نشاط كلّي يتنازع

---

[1]- مازن عبد الله ابن إبراهيم الرشدان، دور الجامعة في مواجهة صراع القيم من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في جامعة حائل، مجلة القراءة والمعرفة، الجزء الثاني، مصر، 2021، ص139-140.

[2]- أحمد فواتيح محمد الأمين، محاضرة رقم01، في مقياس إدارة الصّراع التنظيمي، الجزائر، https://elearn.univ-tlemcen.zd , 2024/05/03، 10H35.

فيه الأفراد مع بعضهم البعض من أجل هدف معين. الصّراع يأتي من الفعل اللاتيني الذي هو (Configure) أي ضارب بعضهم البعض. الصّراع هو صراع بين التعبير الفردي مع غيره، والجماعات مع مجموعة أخرى لعدة أسباب"[1] والصّراع هنا يكمن في الاختلاف الحاصل بين جماعتين أو أكثر ليحدث هناك نزاع أو تضارب بينهما قصد بلوغ هدف معين فيتحصل الطرف الغالب فيه على مرغوبه الخاص باعتبار أنّ «الصّراع نزاع مباشر ومقصود بين أفراد وجماعات من أجل هدف واحد وتعتبر هزيمة الخصم شرطا ضروريا للتواصل إلى الهدف»[2]. فهذا المفهوم يحيلنا إلى أن الصّراع ما هو إلاَ عداء بين جهتين تسعى كل منهما إلى الإطاحة بالأخرى، وذلك من خلال تدخل كلّ واحدة منهما في شؤون الأخرى وتعطيل في مواردها الخاصة، وثقافاتها ومعتقداتها المحلية وذلك بهدف إبعادها عن تحقيق أهدافها.

هكذا يتبين أن الصّراع ناتج عن الخلل الذي يحدث عندما تتصادم المصالح والقيم بين طرفين أو أكثر ويعود سبب ذلك إلى تعدّد وتباين المتغيرات والعوامل التي تتداخل وتتضارب داخل بيئة معينة فيسعى فيها كلّ طرف إلى تحقيق مصالحه على حساب مصالح الطرف الآخر.

ج- مفهوم صراع القيم:

يعتبر الصّراع القيمي(valeur conflit) ظاهرة من الظواهر التي يصعب فهمها، لما يكتنفها من غموض فهي تترابط مع مجموعة من الظواهر الأخرى اجتماعية كانت أم سياسية فهذا ما يجعلها من المفاهيم الحديثة نسبيا، حيث قام بعض الباحثين بدراسة هذا

[1]- نينك فوجي أستوتك، الصّراع الاجتماعي لرلف دهرندروف في رواية "سنونوات كابول" لـ "ياسمينة خضرا"-دراسة اجتماعية أدبية-، قسم اللغة العربية، كلّية العلوم الانسانية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية بمالانج، أندونسيا،2018، ص11.

[2]- نخبة من أساتذة علم الاجتماع، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، دط، الاسكندرية، مصر، ص82.

المفهوم وذلك بالوقوف عند العلاقة القائمة بينه وبين المتغيرات من الظواهر المحيطة به وقد عرف "ويلارد ويلر"(W. Willer) صراع القيم بأنه «تضاد بين اتجاهين أساسيين من اتجاهات القيم، كالتضاد بين القيم المنبثقة عن التنظيم الاجتماعي والتي ترتبط بمثل إنسانية أشبه ما تكون مثالية»[1] فيكمن الصّراع هنا في التناقض بين القيم المشتقة من التنظيم الاجتماعي والقيم المرتبطة بالإنسانية والكمال، أما "أحمد وعبد المعطي" فقد عرفا صراع القيم بأنه "عدم وجود اتساق وانسجام داخل نسق القيم ينتج عم تباينها وتناقضها، ويقصد بتباين القيم تغاير واختلاف وظيفة كلّ منهما وتعارضه مع وظائف وغايات القيم الأخرى."[2] وبناءً على ذلك فصراع القيم يعني وجود تعارض وتناقض بين القيم الاجتماعية والقيم التنظيمية.

تذهب جماعة من المفكرين في تحديد مفهوم الصراع القيمي إلى أنه ذلك «التعارض بين المثال والواقع من جهة والتعارضات المتولدة عن التحول من حيث صعود قيم ونزول أخرى من جهة ثانية»[3]. تتسم القيم هنا بالحركة وهذا ما يجعلها محل الصّراع والتحول بين الصعود والنزول وفق ما بما يخدم مصلحة المجتمع، ففي اطار المصلحة العامة للجماعة تذهب جماعة آخرى من المفكرين إلى القول بأن صراع القيم هو «التباين بين القديم والمستحدث بين المجتمع الجمد والمتحرك، بين الآباء والأبناء ليدل على الصّراع بينما هو كائن وما ينبغي أن يكون، فيكون البقاء للأصلح والأهم والأنفع»[4]. وبناءً على ذلك يتجلى الصّراع بهذا المفهوم في الاختلاف بين القيم التقليدية والتطورات الحديثة الحاصلة في المجتمع، وبالتالي يحدث تصادم بين الأجيال حيث يختلف الآباء فيما يرونه مقبولا وما هو

[1]– محمد بومخلوف، الشباب بين صراع القيم وأزمة الثقة، مجلة أفكار وآفاق، المجلد03، ع04، الجزائر،2013، ص59.

[2]– ممتاز الشايب، الصّراع بين القيم الاجتماعية وبين القيم التنظيمية بدى مديري مدارس التعليم الأساسي والثانوي الحكومية من المدنية، المجلد11، ع01 ،دمشق، 2013، ص180.

[3]– المرجع نفسه، ص95.

[4]– مازن عبد الله ابن ابراهيم الرشدان، دور الجامعة في مواجهة صراع القيم من وجهة نظر هيأة التدريس بجامعة حائل، ص146.

غير مقبول ليستقروا في النهاية ويجمعوا على قبول ما يعود بالمنفعة على المجتمع ويحقق تقدمه وازدهاره. والصّراع القيمي في مجمله هو «التناقض الذي يظهر في بعض قيم واتجاهات وأنماط السلوك لدى الفرد نتيجة تعارض وتصادم قيم الفرد مع النسق القيمي السائد في المجتمع مما يؤدي إلى الشعور بالتوتر والقلق والاضطراب وبالتالي المعاناة في المواقف الحياتية المختلفة»[1]. فالصّراع عنا مرتبط بالسلوك الفردي والنسق القيمي للمجتمع والقيمة في حد ذاتها.

نلاحظ إذا أن مفهوم صراع القيم يشير إلى التصادم الحاصل بين مجموعة من القيم المختلفة والمتضاربة فيما بينها، فيحدث هذا التصادم إما على المستوى الفردي أو الاجتماعي أو الثقافي، وبذلك وجب تصنيفه بغرض تحقيق عملية الفهم واستيعاب التوترات التي تحدث في المجتمع، فنجد على سبيل المثال "أحمد لطفي بركات" يصنف الصّراع القيمي إلى أربعة أقسام هي: «صراعات بين اتجاهات ثابتة واتجاهات مستخدمة، صراع بين معتقد له صفات الضرورة والعمومة ومعتقد له صفات متقلبة صراع بين نوعين من السلوك، سلوك ملتزم وسلوك فوضوي، صراع بين قيم مطلقة لا يحدها زمان ولا مكان ولا ظروف ولا أحوال وبين قيم نسبية متغيرة بتغير الظروف والأحوال»[2].وهذا يعني أن الصّراع القيمي يتجسد في مواضيع تختلف باختلاف زوايا النظر إلى القيم، فنجد منها الثابتة ونجد أيضا المستخدمة المتغيرة بتغير الزمان والظروف، وهذا الصّراع لا يتوقف عند هذا الحد وإنما يتجاوزه إلى صراع بين المعتقدات المختلفة، والتي تشمل مواضيع الطلاق، الزواج، الحرية، العدالة، المساواة وكلّ ما يتعلق بالقضايا الثابتة والمطلقة التي تتطلب اتخاذ قرارات صعبة، وذلك من أجل إحداث التوازن بينها وبين القضايا النسبية والمتقلبة، والصّراع القيمي ما هو إلا دفاع جماعة معينة على مصالحها ،من خلال إيجاد ظروف تتوافق مع

[1]– مازن عبد الله ابن ابراهيم الرشدان، دور الجامعة في مواجهة صراع القيم من وجهة نظر هيأة التدريس بجامعة حائل، ص146.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

قيمها، فينتج عنها صراع، يكون إمّا على مستوى جماعتين تحملان قيم مختلفة، أو على مستوى فردي وهو صراع داخلي بين قيمة نشأ عليها الفرد وقيمة دخيلة تحاول فرض نفسها على تلك الراسخة في النفس، فنجد في هذا الصدد من الباحثين من يذهب إلى القول بأنّ: «الصّراع القيمي يحدث على مستويين هما صراع القيم على المستوى الفردي وصراع القيم على مستوى الأفراد والأجيال»[1]. الصّراع في المستوى الأول ينشأ عندما يواجه الفرد تناقضا بين قيم متعدّدة كان يؤمن بها أو بين قيم ذاتية نشأ عليها فيحدث بينهما تناقض من خلال التجارب الحياتية التي مر بها والتأثيرات الخارجية عليه، أما في المستوى الثاني فيتمثل في صراع الجماعات الذي ينشأ عندما تختلف قيم جيلين أو أكثر داخل المجتمع الواحد أو مجموعة من المجتمعات[2]، فيكون هناك اختلاف في القيم بين الأجيال القديمة والجديدة في ما يخص العادات والتقاليد أو التناقض بين قيم المجتمع المحافظ وقيم المجتمع المتفتح.

3- صراع القيم المتضادة في رواية "الآدميون":

يشير مصطلح صراع القيم إلى التناقض بين القيم المتنافرة وصراعها داخل المجتمع ورواية "الآدميون" لإبراهيم سعدي نص يسائل القيم ويبحث عن ماهيّة الخير والشرّ في المجتمع ويبرز فيه عهدين عظيمين مرّت بهما حضارة المأمونة الأوّل هو عهد السؤدد والاطمئنان، أمّا الثّاني فهو عهد الزّمن الثّالث، وجلّ الأحداث ما وقع في تلك الفترة الفاصلة بينهما والتي كانت نقطة التحوّل فعرفت هذه الفترة (زمن التيه) أو الضّياع أين تظهر فيه معالم ومظاهر الشرّ، فبعدما كانت المملكة تعيش في حالة من الاستقرار والأمن بسبب انتشار الخير والقيم الإنسانيّة السمحة القائمة على الفطرة والأخوة أصبحت تعيش في حالة من الخوف والضياع لتتزعزع قيم المملكة بعد ميلاد الشرّ وانتشار مفاهيم الظّلم والفساد،

[1]- مزراق نوال، الصّراع القيمي وأزمة الهوية والتمرد النفسي لدى المتمدرسين مدمني وغير مدمني الأنترنيت- دراسة مقارنة على عينة من تلاميذ المرحلة الثانوية، أطروحة الدكتوراه ،ل.م.د في علوم التربية، جامعة باتنة، الجزائر ،2020-2021، ص127-128.

[2]- ينظر:ا لمرجع نفسه، ص128.

وبذلك ظهر صراع حاد بين قيم الخير والشرّ باعتبارهما قيمتين رئيسيتين تتولّد من باطنهما قيم ومفاهيم تجسد الصّراع بينهما، ومن هذه الثنائيات الضدية المتصارعة نذكر:

أ- الخير/ الشرّ:

تعتبر ثنائية الخير والشرّ ثنائية أزلية تقوم على مبدأ التناقض، فهما قوتان متنازعتان في الكون، فيمثّل الخير القوّة الإيجابية والنقيّة الساعية إلى تحقيق الرقي والتطوّر، بينما يعتبر الشرّ قوّة سلبيّة ومدمرّة تسبّب العنف والبؤس وذلك من خلال ممارسة الظّلم والتعسّف.

وتشكلّ هذه الثّنائية جوهر الأعمال الأدبيّة، وتتجلّى مظاهرها في رواية "الآدميون" من خلال الأحداث والشّخصيات، فنجد مثلاً ما ورد على لسان أحد شخصياتها "نازر ماشاهو" حين تحدّث عن الشرّ «لفظة يطلقها الآدميون على مجموعة من الأفعال يقومون بها مختلفة فيما بينها، ولهذا تمتلك عندهم أسماء متباينة يجمع بينها شيء مشترك جعلوا له لفظة الشرّ لدلالة عليه»[1] فـ "ماشاهو" هنا هو الشّخصيّة التي تجسد قيم الشرّ وتسعى لنشره في المملكة فنجده يقول «كان القتل مدرجًا في البرنامج الذي أتيت من أجله إلى المملكة كما الغواية والخداع والخيانة وغير ذلك من مظاهر الشرّ ممّا قمت بنشره بينكم في مختلف أرجاء المأمونة»[2] وهذا اعتراف صريح منه بمهمته التي كُلّف بإنجازها، وهي زرع بذور الشرّ، وبمهمته هذه يحاور مهمّة المنقب "شين هاء" القائم على نشر قيم الخير حيث عمل هذا المنقب طوال حياته على نشر الأمن والسّلم والرّاحة بين أهل مملكته الذين عاشوا في نعيم وطمأنينة ولم يعرفوا للخوف والقتل معنا في حياتهم إلى حين مجيئ "ماشاهو" وإرتكابه أوّل جريمة قتل كأوّل مظهر من مظاهر الشرّ في المملكة فـ «لقد وقع للمرّة الأولى في المأمونة منذ نشأتها، شأنه في ذلك شأن أفعال أخرى لا حصر لها ستظهر في عصر التيه لتعرف

[1]- رواية الآدميون، ص 198.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يومها باسم الشرّ حين اكتشف هذا المفهوم وفرض نفسه أيضًا بمفردة لغوية»[1] والشرّ هنا قيمة تظهر من خلال مجموعة من الأفعال اللاأخلاقية التي تمسّ الإنسان باعتباره كائنًا مسالمًا يمنعه بعده الإنسانيّ من التعدّي على الغير.

لا يخلو أي مجتمع من مظاهر الشرّ فمهما بلغ سكانه درجة عالية من الطيبة والسلم إلاّ ويظهر بينهم شخصًا يناقضهم في ذلك، فيقوم على زرع الفتنة بينهم، وذلك ما نستشفه من قول "حسن أحمد طومباز": «أصبح الشرّ منتشرًا في المملكة وملفوظاته دخلت أخيرًا في معجمها اللّغوي، سيصبح لكلّ شيء موجود نقيضه سينشأ أيّامها نقيض للحبّ بظهور البغض وللأمانة عند ما يتولّد الخداع وللصّدق حين ينتشر الكذب والنّفاق وهكذا، وفي ذلك الوقت فقط تولد لمفردة الصديق نقيضها، أعنى العدو ومعهما مشتقاتها ومفرداتها الكثيرة»[2] فالخير والشرّ ثنائية متعاكسة ومتضاربة، تولّدت عنها مجموعة من المصطلحات كلها ملفوظات لغوية تقصد الراوي ادراجها في السياقات السردية الواردة بين الشخصيات نوضّحها على هذا النّحو:

[1]– رواية الآدميون، ص 63.

[2]– المرجع نفسه، ص 75.

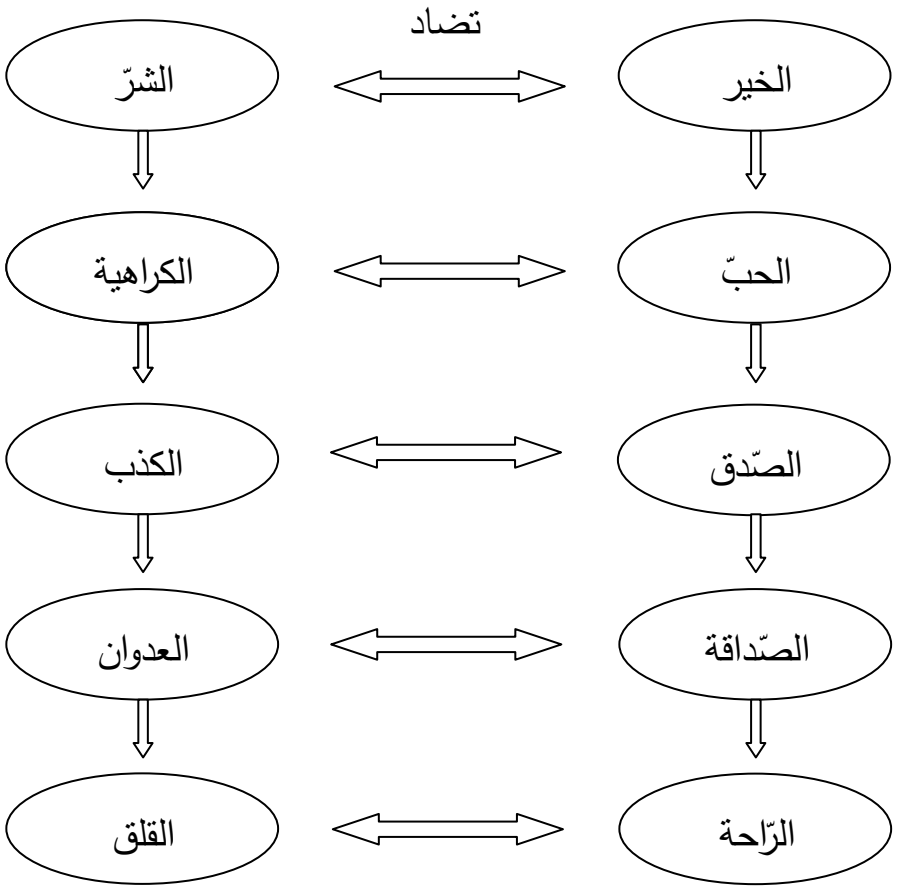

ونلاحظ من خلال هذا المخطط ان المجتمعات المتماسكة تبنى على قيمة الخير فتقوم على اساس الحبّ لتبني صداقات وعلاقات متينة عكس قيمة الشرّ التي تقوم على فكرة الكراهية، وهذه القيمة تعدّ سببًا في انهيار أيّ أساس تنظيمي بفعل العدوان الذي ينتشر بفعل الكذب والنّفاق.

ب- الاستقرار/ التغيير:

يتجسّد الاستقرار والاستمرار في الرّواية في الفترة التي كانت عليها " المأمونة" قبل اكتشاف جريمة القتل التي حدثت في أرض الصّمت حيث : «عاشت المملكة في هناء وأمان بيوتها مشرعة الأبواب للقريب والبعيد لا شيء يحدث فيها»[1] وفي موضع آخر «عاشوا دائمًا

[1]- رواية الآدميون، ص 42.

يتركون الأبواب مشروعة آمنين مطمئنين يسيرون في الطرّيق باشين بسبب أو من دونه»[1] فيشير هذا القول إلى أنّ المملكة عاشت في سعادة وأمان دون أي شعور بالقلق أو الخوف «المأمونة إلى وقت غير بعيد خالية ممّا يدفع نبض الحنان إلى التّدافع وإلى سيلان الوجه عدا عند اشتداد الحرارة ومن أيّة مشاعر غير مريحة»[2] فاعتاد سكانها على الراحة والسّكينة فالمأمونة على حسب تقدير السّارد «ظلّت إلى وقت قريب كما لا يخفى عن سيادتك مملكة الرّاحة والأمان»[3] فالمملكة هنا تستمد اسمها من المظاهر المعاشة فيها، قبل أن تتغير الأوضاع للأسوء.

يعتبر التغيير موجة عميقة تصيب المجتمعات بالاضطراب، ومن بين التغيّرات التي حفلت بها الرّواية حالة اللااستقرار التي عرفتها المملكة بعد وقوع أوّل جريمة فيها، وتتجلى هذه الحالة في ما ورد على لسان السّارد «صار سكينة ما بعد المملكة يتقاتلون فيها بينهم لا تنتهي حرب بين هذه الحضارة وتلك إلاّ لتنشب أخرى، وهكذا دواليك وأحيانًا بين أبناء المقاطعة الواحدة نفسها»[4]، فبعدما كان أفراد المملكة الواحدة كالإخوة صاروا أعداء ووصل بهم الأمر إلى تقسيم المملكة إلى مقاطعات، وكلّ مقاطعة تحاول فرض نفسها على الأخرى فنجد في هذا الصدد "حسين طومباز" يقول «انقسمت المملكة إلى كيانات لا تتخيّل عددها لا تنتهي حرب بين هذا الكيان وآخر إلاّ لتبدأ أخرى بين هذا وذاك»[5] وبذلك تبددت مظاهر الأخوة بين أفراد المجتمع الواحد ووصل أمر العداء أيضًا إلى الصّراع بين من خرج من نفس الرّحم فاخترق الإخوة بذلك رابط الدّم الذي يجمعهم «أعداء سابقون والأصح إخوة لكنّهم صاروا متحاربين متباغضين، جمعتهم الهزيمة، يبحثون على ملاذ آمن فلا يجدونه»[6] لقد أثّر

[1]– رواية الآدميون، ص 65.

[2]– المرجع نفسه، ص 109.

[3]– نفسه، ص 110.

[4]– نفسه، ص 299.

[5]– نفسه، ص 213.

[6]– نفسه، ص 299.

هذا العدوان بطريقة سلبية على الأوضاع الاجتماعيّة، فبعدما كان السكان يعيشون معزّزين مكرمين في مملكتهم وفي عقر بيوتهم أصبحوا مشردين ينهشهم المرض والجوع ويتّضح هذا من خلال «قوافل المتشردين من العجزة والنّساء والأطفال بأسمال بالية وأجسام منهوكة وروح منهارة»[1]، فحُرم الأطفال من طفولتهم البريئة، إضافة إلى الخراب الذي آلت إليه المملكة فـ «لم يعدّ يرى أيامها غير الخراب، قوافل المتشردين لا نهاية لها ومستقرّ ينهشهم البرد والمرض والرّجوع واليأس»[2] فهذا القول يعكس حالة من البؤس والضّياع الذي يعيشه أهل المملكة بسبب انتشار الفقر، وغياب ملجأ آمن يقيهم من البرد، ممّا تسبّب في انتشار الأمراض وكثرة الموت.

يعمد في هذا الصّدد السّارد إلى أحد الاقتباسات التي تعلن تغيّر الوضع الاجتماعيّ للمأمونين وذلك من خلال مقارنته للحياة السّائدة قبل وقوع الجريمة وبعدها، فبعدما كانت المملكة في استقرار دائم أصبحت تعيش مجموعة من التغيّرات التي أثرت بشكلّ سلبي على تطوّر المملكة وسببت دمارها.

وفيما يلي جدول يوضح الفروقات الحياتية والتغيّرات التي تعرّضت لها المأمونة أثناء انتقالها من حقبة زمنيّة دامت لأكثر من قرون إلى حقبة زمنيّة أخرى انسلخت فيها عن جذورها وقيمها المتوارثة.

الاستقرار (المأمونة في زمن ما قبل التيه)	**التغير (المأمونة في زمن ما بعد التيه)**
– السلم والسّلام.	– العدوان والدّمار.
– التلاحم والتماسك.	– التفرقة والتّشتت والضياع.
– التطوّر والازدهار.	– الخراب.
– أبوابها مشروعة على الدّوام.	– صارت تغلق مداخلها من دون سبب.

[1]– رواية الآدميون، ص299.

[2]– المرجع نفسه، ص 312.

– الموت يفعل طول العمر. – توظيف مصطلحات خاصّة بالمملكة تدل على الاحترام: "الفاضل، الاحترام، الصديق، العزيز. – ساد فيها المساواة والاطمئنان.	– التشرد وما يصحبه من جوع وبرد ومرض. – الموت المفتعل بفعل الجرائم والحروب. – تحول نمط حديث المأمونين وخلُوه من مفردات المجاملة. – تفشى فيها الفساد والجريمة.

فنلاحظ من خلال هذا الجدول الحالة التي آلت إليها المأمونة التي انحرفت عن أعرافها بعدما دخلتها أوّل مفردة (القتل) بعد ارتكاب أوّل جريمة على أرضها ليصحبها بعد ذلك جملة من التغيّرات فتنحرف شيئًا فشيئًا عن «قيمها الأصلية التي ورثتها عن الآمنة لينتشر فيها ما صار يعرف بالشرّ حتى عم على ربوعها، فتفشى فيها الفساد والجريمة وشاعت مختلف مظاهر السوء بشتى أسمائها ومسمياتها»[1] وهكذا تتصارع قيمتي "الاستقرار والتَّغير" وتنتقل المأمونة من مرحلة النور والضّياء، حيث انتشرت الكلّمة الطيّبة بكلّ مصطلحاتها الخيّرة التي تدلّ على الاستقرار النفسي والاجتماعي والسياسي، إلى مرحلة الظّلمات والظّلال، حيث شهدت غياب شبه تام للأثر الطيّب وانتشار مفردات الشرّ ومظاهر الجريمة والفساد في أرجاء المملكة.

جـ– الوفاء/ الخيانة:

اجتمع الوفاء والخيانة معًا لأنّهما وجهان لعملة واحدة رغم تناقضهما في المعنى إلاّ أنّهما مرتبطان بالوجود، فما كان ليولد مفهوم الخيانة لو لم يكن الوفاء سائدًا بين النّاس ورواية "الآدميون" كشفت لنا الصّراع القائم بين هذه الثنائية المتشابكة والتي تحكمها علاقة سببية، فمن خلال قول السّارد "حسن أحمد طومياز" «ذلك اليوم كان ميلاد المعنى المضاد للوفاء، أحسن "هاء" يومها بأنّ فكرة ما سيشار له بلفظة الخيانة في عصر التيه قد تولّدت

[1]– رواية الآدميون، ص 225.

من رحم فكرة الوفاء»[1] يتّضح لنا أنّ فكرة الخيانة لم تولد من العدم وإنّما من عوامل متعدّدة تتعلّق بطبيعة الإنسان من جهة وبالظّروف المحيطة به من جهة أخرى.

لقد كان الوفاء قيمة سائدة لفترة في المملكة حيث «لا أحد في المأمونة يخون أحد أو يضمر له شرًا، أو يمرّ بذهنه شيء من هذا القبيل»[2] فالطمأنينة والأمن الذي ساد في المملكة خلق جوًا من الثّقة والوفاء بين أفرادها إلى درجة أنّ طُبعت بهذه الصّفة حتى حيوانات المملكة ليقول "زكريا" أحد شخصيات الرّواية «إنّ هذا النّوع من الطير مطبوع على الوفاء، منه يبقى مخلصًا لزوجته مدى الحياة، وكذلك يعدّ الموت، إذا ما توفي أحدهما فإنّ من يبقى حيًا منهما لا يرتبط ثانية»[3] ليجيبه بعد ذلك المنقب "هاء" «يعني أنّهم مثلنا تمامًا الفاضل تقريبًا، أنا لم أسمع إلى اليوم بأنّ مخلوقة في المملكة عاودت الحياة مع غير زوجها بعد مماته ولا بلغني أيضًا بأنّ مخلوقًا سبقته رفيقته إلى الرّحيل الأعظم فعل مثل ذلك» والوفاء هنا قيمة مرهونة بالإخلاص والرّوابط التي تجمع بين الأفراد، على عكس الخيانة التي تسببت في انهيار العلاقات الإنسانيّة، فقد تسرّب هذا المفهوم إلى المملكة وخلق آثارا سلبية أدّت إلى الصّراع والقتال بين أفرادها، وهذا ما نلمسه في الرّواية من عبارة «لقد صارت الخيانة في تلك الأيام مصدرًا من مصادر ما أصبح يعرف بالتسريح وأيضًا دافع من دوافع القتل»[4]. وقد صاحب الخيانة ظواهر أخرى كالطّلاق أو التّسريح التي حدثت لأوّل مرّة في المأمونة «الفراق، التّسريح، الهجران، جميعها تسميات دلّت في الحقيقة على شيء واحد يعني ما جرى لأوّل مرّة في تاريخ المملكة حين قرّر زوجان لسبب ظلّ سرًا من الأسرار أن يكفّا عن العيش معًا لا حقّ لأيّ منهما على الثّاني وأن يعود كلّ منهما غريبًا عن نصفه الآخر، كما لو أنّهم لم يلتقيا أبدًا، وما عاشا سويًا، ولا سمع كلّاهما بغيره، وما جمعهما حبّ

[1]– رواية الآدميون، ص 102.

[2]– المرجع نفسه، ص 170.

[3]– نفسه، ص 101.

[4]– نفسه، ص 65.

ولا احتضنتهما سعادة ولا اِشتراك جسدهما في لذّة ولا ربطهما واجب»[1] يحيلنا هذا الاقتباس إلى فكرة تخلي الإنسان عن قيمه بسهولة، وما كان مقدسًا عندما تغيب القيم يصبح مدنّسًا وهكذا يتحوّل الزّواج من النّقيض إلى النّقيض، وتتولّد عنه ثنائية ضدّية يُنحنى بها منحنيين مختلفين، الأوّل قائم على الوفاء كقيمة سامية وركيزة من ركائز الاستقرار واستمرار العلاقات والمنحى الثّاني قائم على الخيانة كقيمة مبتذلة تدمّر العلاقات وتنشر الفساد في المجتمع وتتّضح هذه الثنائيات بهذا الشّكلّ:

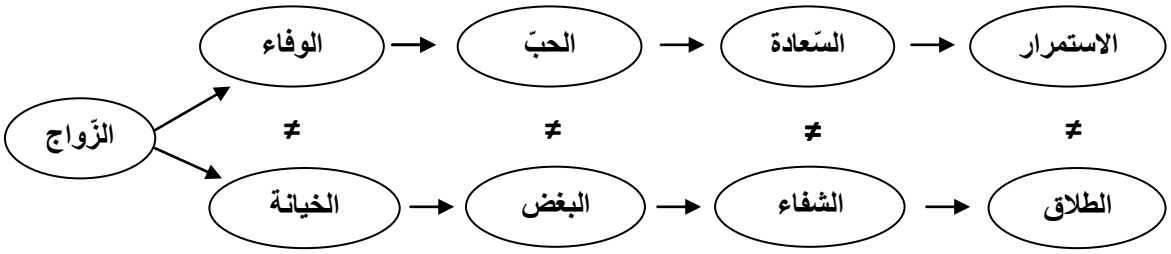

وهنا يمكننا القول أن الوفاء/ الخيانة قيمتان متضادتان تتحكمان في سيرورة العلاقات الاجتماعيّة، فالوفاء يعني الالتزام والتمسّك بالعلاقات والإخلاص لها، بينما يحيل مفهوم الخيانة الى تعري الإنسان من أخلاقه واستغنائه عن غيره، فتعكس الثّنائية الضديّة (الوفاء/ الخيانة) كيفية تعاطي الأفراد للقيم في علاقاتهم مع الآخرين.

د- الحب/ الكراهية:

لقد عرفت البشرية ثنائية الحبّ والكراهية منذ فجر التّاريخ إذ شكلّت أبرز التناقضات الأساسية في الوجود البشري، فهمًا انفعالان متضادان يشكلّان جوهر التّجربة الإنسانيّة حيث يتصارع فيها الإنسان بين قيمتي الجذب والدفع، بحيث يعتبر التوازي بينهما هو التحدّي الأكبر الذي يسعى الإنسان لمواجهته.

فنجد أن قيمة الحبّ هي القوّة المحركة للرّوابط الإنسانيّة والاجتماعية، وهو من أسمى المشاعر التي تدفع الإنسان لمدّ جسور الترابط والتّواصل مع الآخرين، وتتجسّد هذه القيمة

[1]- رواية الآدميون، ص 64.

في الرّواية في شخصيّة "إيلام"، شخصية طيّبة محبّة للخير تسعى دائما لنشر المحبّة بين أفراد المأمونة على اختلاف أعمارهم، حيث «لا شيء ظلّ يسعد إيلام أكثر من ابتسامة على وجه طفل، ولهذا حظى بحبّ عظيم عند الصّبيان»[1]، وهو «مخلوق محبّ للأطفال ولأغانيهم وألعابهم دائم المزاج معهم»[2] الحب عاطفة جمعت بين "إيلام" وكلّ أطفال المملكة. كما نال احترام وتقدير النّاس وكلّ أفراد المملكة حيث «أنّ جميع النّاس ظلّوا أصدقاءه على حدّ سواء»[3] وهكذا طوّر "إيلام" علاقاته مع أفراد مجتمعه واكتسب ودّهم وقد مكّنه حبّه للآخرين من الخروج من حدود نفسه وتجاوزها ليتشارك مع سُكان المأمونة طريقة عيشه، فتجاوز بذلك المصاعب التي واجهته في حياته، فالحبّ هو سبيل الابتعاد عن الأنانية وقسوّة القلوب، إذ يقوم على ترويض النّفس وتهذيبها وهذا ما فعله مع شخصية "ماشاهو"، فبعد ما كان إنسانًا بغيضًا يكره كلّ من حوله وينشر الفساد في المجتمع، أصبح إنسانًا طيّب القلب محبًا للغير بعدما تعرّف على "هند" تلك المرأة التي أحبّها بكلّ صدق، ليقرّر اعتزال الفساد والكراهية. وهذا ما يصرّح به حين قال: «عندما اِلتقيت هند قلت إذن في قرارة نفسي، أخيرًا وقعت على مخلوقة تهديني وليست كما العادة على من أغويها (...) وبعدما هدتني هذه المخلوقة الغاليّة إلى طريق الحياة الحقة وأنقذتني من غريزة الشرّ وطهرتني بحبّها»[4]. فالحبّ هنا كان عاملاً مهمًا في تهذيب "ماشاهو" وإحساسه بضرورة الاستقرار وإنشاء عائلة يجد فيها المتعة والرّاحة والشعور بالطمأنينة والأمان.

يؤدي غياب الحبّ الى انتشار الكراهية وهذه الأخيرة قيمة سلبية مضادة لكلّ معاني الحبّ وانتشارها في المجتمع يؤدّي إلى فساده واِنهياره، فهي تولّد في الفرد شعورًا بالاغتراب فيصبح إنسان غير مسؤول عمًا يصدر عنه فيسيطر الشرّ عليه. وهذا ما حدث مع

[1]– رواية الآدميون، ص 39.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– نفسه، ص ن.

[4]– نفسه، ص 153.

"ماشاهو" عندما تُوفيت زوجته "هند"، حيث ولّد رحيلها في نفسه الشّعور بالكراهية اتّجاه أفراد المملكة، وطاقة سلبية أضعفت ذاته وعزلته عن النّاس وعن محيطه بعدما قطع كلّ روابطه بالمملكة وذلك ما صرّح به، حيث يقول: «لا شيء بات يربطني في نهاية المطاف بالمملكة بعدما أصبحت بدون هند وبدون حبّ»[1] فبعد ما فقد حبّ حياته عاد ليمتهن مهنته التي اِعتزلها فيعود إلى نشر الكراهية والغواية في المملكة فيقول «الحق إنّه بدون حبّ، بدون هند وجدتني أعود إلى آدميتي»[2] وكأنّ أدميته تفرض عليه العودة إلى ما كان عليه من فسق وغدر وانحراف.

هكذا تبين أنّ قيمتي الحبّ والكراهية قيمتان متناقضتان، فأينما تحلّ الأولى تغيب الثّانية، وبقدر ما يتحقق الحبّ من خلال قيمه وأساليبه تنتج الطمأنينة والرّخاء والتطوّر والبناء، وكلّما انتشرت ثقافة الكراهية كلّما سادت النّزاعات والصّراعات والحروب والتخلّف والفقر، والقلق والدمّار.

هـ- الظّلم/ العدل:

ثنائية الظلم والعدل مفهوم فلسفي يشير إلى الصّراع الدّائم القائم بين الظّلم والعدل في المجتمعات والأنظمة السّياسية، فالظّلم يتجلّى في ممارسة القهر والاضطهاد والفساد والقمع وعدم تقديم الحقوق لأصحابها بشكلّ عادل، بينما العدل يمثّل ركيزة الاستقرار للمجتمع فهو يضمن حقوق الإنسان دون تمييز، وينشر المساواة والعدالة، وتكافؤ الفرص بين أفراد المجتمع.

تظهر في رواية "الآدميون" هذه الثنائية بشكلّ بارز عبر أحداثها المتتابعة، فقد ساد العدل والمساواة في مملكة "المأمونة" لقرون عديدة، ازدهرت بهما المملكة «فلا مملكة عاشت

[1]- رواية الآدميون، ص 167.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

مجد المأمونة لا هناءها، ولا براءتها ولا عدلها، ولا سمّوها»[1] فلم تكن المملكة تعرف مظاهر الفساد «لا سرقة في المأمونة ولا عدوان ولا قتل ولا قاتل ولا مقتول ولا فاسد ولا فاسدة»[2] فقد كانت مملكة مثالية تسود فيها مظاهر العدل والآمن، قبل أن ينتشر فيها الفساد وما يتبعه من مظاهر الظّلم والاستبداد، فمع دخول الآدمي "نازر ماشاهو" إلى المملكة «ما بات الحاضر كما الماضي، شيئًا واحدًا مثلما عاشت المملكة في عهد السؤدد»[3].

فقد دخلت المملكة في زمن جديد سمي بالزمن الثّالث أو "الزّمن الخافي" كما سمَّاه المنقب "شين هاء"، زمن موازي لزمن السؤدد، زمن انتشرت فيه كلّ مظاهر الظلم من تعدّ واغتصاب وقتل وعدوان، فقد أصبح سكان المأمونة يتقاتلون في ما بينهم، وعمت الحروب في شتى أرجاء المملكة «فلم تعدّ المملكة أيامها واحدة، بل أصبحت مفكّكة إلى عدّة مقاطعات مستقلة عن بعضها البعض، لا تعترف بالسّلطة الرّمزية ولا الشّكلّية، ولا لحضارة العزيزة ولا لكبير أمناءها، كما دخلت في حروب لا تنتهي فيما بينها، كانت مفردة الحرب أخر ما دخل في معجمها مع كلّمة العدو المرتبطة بها وثيق الارتباط»[4].

ومن مظاهر الظّلم التي برزت في الرّواية، التّعنيف والاغتصاب الذي مارسه "ماشاهو" وهو يغوي نساء المأمونة، وقد جاء على لسانه «عندما تعرفت على هند شق علي أن أغويها بدورها، فأجرها من إرادتها لأغتصبها بعد ذلك، كما فعلت مع سابقاتها، مستخدمًا معهنّ مختلف الطرق»[5]. هكذا يعترف "ماشاهو" بإدخال ظاهرة الاغتصاب إلى المأمونة وممارسته بعد أن سلب من المرأة كلّ إرادتها ويعرفه قائلاً: «الاغتصاب فعل جنسي يقوم على اعتبار الذكر جسد الأنثى المحرمة عليه مستباحًا له، يمكّنه التمتّع به عن طريق الإكراه سواء الجسدي أو غيره ولتقريب الصورة لنقل أنه مثل أن تتملك بواسطة القوة والعنف أرضًا

[1]– رواية الآدميون، ص 06.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– نفسه، ص 298.

[4]– نفسه، ص 299.

[5]– نفسه، ص 152.

مملوكة لغيرك أو ببساطة، ليستلك فقط، وتفعل فيها ما تشاء»[1] والاغتصاب من أقصى أشكال الظّلم فهو انتهاك لحقوق الإنسان والتعدّي على حرمة الجسد والرّوح.

هكذا تبقى ثنائية العدل والظلم ثنائية ضدّية، فأينما يحلّ الظّلم يغيب العدل، والعدل قيمة أخلاقية ومقصد من مقاصد الشّريعة الإسلاميّة، بينما الظّلم حالة سلبيّة تصدر من شخص تجرّد من معايير الإنسانية والفضيلة.

[1]– رواية الآدميون، ص 149– 150.

الفصل الثاني:

صراع الأنساق الثقافية في الرّواية

1- رمزية العنوان ونسق الخطيئة.

2- نسق القلق الوجودي.

3- نسق التعايش وصراع الوافد والمقيم.

تمهيد:

تعتبر الرّواية ظاهرة ثقافية أفرزتها تطورات المجتمعات الحديثة، وهي الوعاء الذي يحوي ثقافة المجتمع الذي أنتجها، فتعكس مختلف أحداث الحياة، وعلى الرغم من أنّ الرّواية في بلاد المغرب العربي ظهرت متأخرة إلاّ أن تطورها كان سريعا، وقد عالجت مختلف المواضيع التي أفرزتها الأوضاع السائدة، فعبرت في متونها عن انشغالات كُتابها، وكانت مرآة عاكسة لمختلف الأوضاع السائدة التي ولّدت تراكمات فكرية ومعرفية، شكلّت مجموعة من صور لأنساق ثقافية. ومن القضايا التي عالجتها الرّواية العربية قضية صراع القيم وما يتداخل ويتشابك معها من مفاهيم أخرى باعتبارها من أهم الإشكالات المطروحة في عصرنا الحالي. وقد بدت هذه الظاهرة بارزة في أعمال الكثير من الروائيين الذين صوّروا مظاهر هذا الصّراع وناقشوا أسباب حدوثه ونتائجه كالتزام منهم بقضايا الواقع الراهن، وباعتبارهم من الطبقة المثقفة في مجتمعاتهم، و"ابراهيم سعدي" من الروائيين الجزائريين الذين سعوا إلى تصوير هذا الواقع من خلال رواياته، ففي رواية "الآدميون" نجده "يعكس صراعا بين عالمين، عالم المثل العليا، وعالم الواقع، وبالتالي صراع بين عالم الحقيقة وعالم الخيال وصراع بين الخير والشر، أقام منجزه التخيلي على خطاب تزود بالأبعاد الفلسفية وتطعم بمجرات الواقعية"[1] حيث استعان بالبعد الفلسفي أثناء تناوله لموضوع واقعي وهو صراع القيم.

ومن أجل فهم عميق للأعمال الأدبية قام "جاكبسون" بوضع مخطط أين رصد فيه العناصر التي يجب أن تتوفر في أي عمل إبداعي ويحصرها في ستة وظائف هي: المرسل المرسل إليه، الرسالة، السياق، الشيفرة وأداة الاتصال، فجرى العمل وفق خطاطة التواصل هذه إلى أن قام "عبد الله الغذامي" بإضافة عنصر سابع إلى هذه القائمة والذي يتمثل في الوظيفة النسقية وهي " وظيفة ذات امتداد ثقافي يؤثر على مجريات تلقي الخطابات سواء على صعيد الفهم أو على صعيد التأويل وتفعيل هذه الوظيفة يعني الإحاطة بالمعطيات

[1]- نادية سلطان، حليمة عواج، تمثلات المقدس في رواية" الآدميون" لـ "إبراهيم سعدي"، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد05، ع02، الجزائر، جوان2022،ص218.

النسقية التي توجه الخطاب، وهو محل خضوع لها، لأنها أنساق مضمرة في الأساس لا تتمظهر على مستوى البنية السطحية للخطاب»[1] وعندما نتحدث عن النسق فإننا نتحدث عن التنظيم الثقافي الذي يتسم به الخطاب الأدبي والذي قد يكون غير ظاهر بين السطور فيفهم من خلال التأويل، فيؤثر ذلك بشكلّ كبير على معنى النص، إذ تتعلق هذه الوظيفة بدراسة جلّ التفاصيل والاختيارات اللغوية المحددة واستخدام الصور والرموز، كما تقوم أيضا بدراسة تراكيب الجملة وبنائها، فيساعد ذلك على فهم وتفسير النصوص وتفعيلها[2].

تعدّ الأنساق المضمرة مفهوما مركزيا في مشروع النقد الثقافي حيث تسعى إلى الكشف عن المخزون الثقافي ومجمل الفجوات التي يحملها العمل الإبداعي، فهي تستدعي وجود نسقين اثنين في نص واحد أحدهما جلي وصريح والآخر ضمني فيكون معاكسا للنسق الأول[3]، وهذا ما يذهب إليه "عبد الله الغذامي" في كتابه "نقد ثقافي أم نقد أدبي" إذ يقول:" إن المضمر النسقي لا يتبدى على سطح اللغة، ولكنه نسق مضمر يمكن مع الزمن من الاختباء، ويمكن من اصطناع الحيل في التخفي"[4] ومعنى ذلك أن كلّ نسق يختبئ تحت غطاء جمالي ليكشف عن ما هو ليس جمالي في الثقافة من خلال اللغة وتراكيبها المختلفة وهذا ما سنحاول تناوله في هذا الفصل من خلال تتبع أهم الأنساق الثقافية التي شكلّها صراع القيم، والتي ساعت الرّواية على تمريرها في قالب سردي جمع بين جماليات التخييل من جهة ومحاولة تمرير محتوى قيمي فلسفي بفصل بين المتناقضات من جهة أخرى.

[1]– بوسكن مجاهد، النقد الثقافي وآليات القراءة والتأويل، مجلة المعيار، جامعة تسمسيلت، العدد01، الجزائر، جوان2022، ص943.

[2]–ينظر: مرجع نفسه ص 946.

[3]–نفسه، بتصرف.

[4]– عبد الله الغذامي، عبد النبي، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر المعاصر، ط1، دمشق،2004، ص38.

1-رمزية العنوان ونسق الخطيئة

يعد العنوان أيقونة ترويجية تجذب القارئ لاقتناء العمل الأدبي إذ لا يمكن الوصول إلى المتن السردي إلاّ من خلاله، فهو يحمل أهمية كبيرة كونه عتبة من عتبات النص يساعد على الولوج إلى عالم النص وفك غموضه ورموزه، وبواسطته يتمكن القارئ من معرفة وتأويل ما تحمله الرّواية من دلالات ومقاصد وذلك من خلال الوظيفة الإيحائية التي تربط بين الروائي والقارئ وتبرر رؤيته.

جاء عنوان رواية" الآدميون" مشحونا بإيحاءات عميقة، فورد بصيغة الجمع "الآدميون" لاسم مفرد "آدم" وهذا الاسم يحيلنا إلى أول إنسان خلقه الله عز وجل على وجه الأرض ليكون أبا للبشرية، ووروده بصيغة الجمع جعله يحمل مضمرات متنوعة وذلك للدلالة على شخصيات من عالم آخر، أشبه ما تكون بوحوش مدمرة فلا يعرفون غير القتل وسفك الدماء والتلذذ بها كما جاء في الرّواية على لسان الراوي "فأنا لا أحب أن تشبه المأمونة هذا العالم الآخر، ولكن أعزي نفسي بأن أهله، ويطلق عليهم اسم بني آدم، يدمرون كلّما يبنون منذ أن خلقوا، وهكذا دواليك إلى أن ينتهي بهم المطاف إلى الدمار الشامل والعظيم"[1].

كما يحيلنا عنوان الرّواية إلى أن موضوعها سيكون موضوعا إنسانيا ضاربا في عمق البشرية فالروائي هنا قام ببناء مادته السردية على مجموعة من الأحداث التي استمدها من رحلة دنيوية فاختار العودة إلى أصل البشرية باختياره عنونة روايته باسم أول بشري خلقه الله، وجعله خليفة له في الأرض، فمزج بذلك بين عالمين استقى معالمهما من الوجود من جهة ومن مختلف الحضارات على طول امتدادها من جهة أخرى "فالأديب عامة والروائي خاصة، عند نسجه لعمله الفني فإنه يكون حاملا لإيديولوجيا معينة، كأن يتبنى موقف

[1]- رواية الآدميون، ص06.

وقضية ما انطلاقا من مخزونه الثقافي التراكمي حيث يتجسد في هذا العمل"[1] وما نلاحظه أن الكاتب استعان بمجموعة من الأفكار والقيم التي شكلّت رؤيا شاملة للمجتمع وللعلاقات السائدة فيه.

نجد في تسمية "آدم" نزعة إنسانية، فقصته وردت في كلّ الديانات والحضارات المختلفة ولكن بتفاصيل تختلف باختلاف المعطيات والمعتقدات الذهنية، رغم ذلك تشترك في عنصر تم اعتباره أساس وجود الإنسان على سطح الأرض، وهذا العنصر يتمثل في خطيئة نبينا "آدم" وزوجته "حواء"، وكانت هذه الخطيئة سببا في طردهما من الجنة.

تحيلنا قراءة العنوان من الوهلة الأولى تُحيلنا مباشرة إلى مجموع تلك الصفات والخصال التي يتمتع بها الآدمي سواءا تلك التي جُبل عليها بالفطرة، أو التي اكتسبها من وسطه الخارجي ومحيطه الاجتماعي، ليتبين لنا عند قراءة الرّواية أن اختيار الروائي لعنوان الرّواية" الآدميون" لم يكن اعتباطا، بل يحمل دلالات رمزية وفلسفية قصد إليها الروائي، وتتضح من خلال أحداث الرّواية.

تعدّ أرض الصمت المركز الأساس الذي انطلقت منه أحداث الرّواية، حيث وقعت فيها أول جريمة قتل في مملكة المأمونة، وهذه الواقعة تناص للحادثة التي وردت في القرآن الكريم والمتمثلة في الجريمة التي ارتكبها أحد أبناء نبي الله آدم عليه السلام في حق أخيه، حيث قتل "قابيل" أخاه "هابيل" فنلاحظ ذلك في قوله تعالى: "وأتل عليهم ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين"[2] فقابيل في رواية "الآدميون" هو "نازر ماشاهو" الذي يمثل قوى الشر، أما هابيل فهو "إيلام طوث" فبمقتله تشهد المأمونة نماذج عديدة تُكرّر ما ارتكبه قابيل في حق أخيه، وما يوضح

[1]– شريفة بوكاف، علاوة ناصري، إيديولوجيا الكاتب في رواية" الآدميون" ل"ابراهيم سعدي"–مقاربة تأويلية–، مجلة البحوث والدّراسات الإنسانية، المجلد16، العدد02، الجزائر،2022،ص204.

[2]- سورة المائدة، الآية27.

فعل التوافق بين جريمتي القتل كونهما جُرم أُرتُكبَ لأول مرة في حق البشرية والتعدّي على حق من حقوق الإنسان "الحق في الحياة فنلاحظ من خلال قول السارد: "لم يجد لا أثر لا لكلّمة مقتول، ولا لفعل قتل (....) لكن سنوات طويلة بعد ذلك، وهو يتصفح قاموسا آخر، وفي نفس المكان بالضبط، وقع على كلّمة قتل، يقتل، مع الإشارة إلى أن أول مخلوق استعملها في المأمونة هو مخلوق اسمه نازر ماشاهو"[1] وبذلك يكون المخلوق الذي ابتكر هذا الفعل وسماه واصطلح عليه بما يتوافق مع شره هو" ماشاهو" فساعده ذلك على كسر خطّية الحياة التي يعيشها أفراد المملكة بين الماضي والحاضر.

وتجسد الرّواية استمرارية شر قابيل الماضي وقابيل الحاضر، فجاء على نفس منوال الجريمة الأولى التي وقعت في زمن ما قبل التيه جريمة أخرى قام بارتكابها المنقب "شين هاء" في زمن ما بعد التيه، وذلك عندما جاء للانتقام للمملكة التي غادرها والبحث عن المجرم الحقيقي "حسن أحمد طومباز" بعد عثوره عليه. فجاءت جريمته هذه كرد فعل عن أول جريمة ارتكبت في زمن مضى في حق أحد سكان المملكة، فيكتسب أفراد المأمونة الجرم كصفة يتفننون فيها حيث استمروا في ارتكابه وقتل النفوس من غير حساب ولا عقاب.

إن ارتكاب أول جريمة قتل على مستوى الحضارتين "المأمونية" و"الآدميون" يعود إلى خطيئة واحدة ارتكبها شخصين مختلفين على، صعيدين متوازيين فنجد الخطيئة في حضارة الآدميين ما تناقلته الديانات السماوية حول قصة سيدنا آدم عليه السلام وزوجته حواء اللذين قاما بعصيان أمر الله والأكلّ من الشجرة المحرمة وكان ذلك سببا في طردهما من الجنة فنجد في الإسلام قوله تعالى:﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[2]، ووفقا للقرآن الكريم فإن الله عز وجل خلق آدم عليه السلام ثم نفخ فيه من روحه وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا

[1]- رواية الآدميون، ص23.

[2]- سورة البقرة، الآية35-36.

إلّا إبليس رفض ذلك حيث يقول المولى عز وجل:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾[1]، فكانت لعنة الله عليه إلى يوم الدين. بعد ذلك أقام آدم عليه السلام في الجنة مع زوجته حواء فسّخر لهما الله سبحانه وتعالى الجنة للاستمتاع بكلّ خيراتها ما عدا شجرة معينة حُرّمت عليهما، فينتهكان أمر الله بسبب الغواية التي كانت من الشيطان، يقول الله تعالى :﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾[2]، فطرد آدم وزوجته من الجنة إلى الأرض بعدما كانا يعيشان في نعيم، وتبدأ رحلة البشرية بكلّ خطاياها وحسناتها، ويصبح بعد ذلك الشيطان هو عدو الآدميين الأبدي يسعى لإيقاعهم في الشرك ويجرهم إلى الأفعال الدنيئة الشريرة.

أما خطيئة حضارة "المأمونة" فجاءت على نفس وتيرة خطيئة آدم عليه السلام، فقام "نازر ماشاهو" بارتكابها بعدما ذهب رفقة زوجته "هند" إلى أرض المراعي الوديعة التي صورها على أنها الجنة فيصفها بقوله: "تلك الربوع المترامية الوافرة العشب والغدران والأشجار والأطيار والحيوانات حيث ترعى الماشية في حرية وطمأنينة كاملتين"[3]، وهذا الوصف يحاكي ما ورد في كتاب الله عن الجنة فيصفها "بأنها جنات تجري من تحتها الأنهار وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر"[4] فحالها حال أرض المراعي في مملكة المأمونة، فما وقع في هذه الأرض المقدسة يشبه كثيرا ما وقع في الجنة حيث يذهب "نازر ماشاهو" من خلال قوله الذي يسرد من خلاله الواقعة " فيما نحن نمضي في تلك الأراضي المحرمة بعيدا أن يمر بذهني بأننا كنّا ننتهك محظورا ما سبق لأحد قبلنا خرقه، لقد قمنا المحترم بما قام به آدم وحواء حين عصيا النهي عن أكلّ ثمرة الشجرة

[1]– سورة البقرة، الآية34.

[2]- سورة طه، الآية 120–121.

[3]- رواية الآدميون، ص156.

[4]- ابن تيمية، النبوات الموسوعة الحديثة، ص120، على الموقع: htpps://www.dorar.net، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2024/06/10، 13:00.

المحرمة، فطردا من الجنة"[1]، ويأتي هذا المقطع لبيان أن المحظور تم اختراقه مرتين، فعندما قام "ماشاهو" يسرد أحداث خطيئته للمنقب "شين هاء" أشار إلى شجرة شهدت ما اقترفه من ذنب مع زوجته "هند" فيتجاوز بذلك خطيئة آدم التي تتمثل في أكلّ ثمرة من ثمار الشجرة المحرمة بخطيئة مصدرها رغبته الجنسية فعوض الأكلّ قصد الجنس لتكون خطيئته التي ارتكبها تحت شجرة من أشجار المراعي الوديعة حيث قام باستقبال زوجته استقبال عاشق ملهوف فيقول: "فرشت لها ملابسي، أسفل الشجرة الوارفة، غير بعيد عن النهر، لكن هند رأت بأن العشب الوفير للأرض لا يقل نعومة، القينا جسمينا عليه، وأمضينا ما يقرب ساعة من هوى رفيع ونادر لا يخطر على بالكم أنتم(...) لم يخطر في بالنا آناءها بأنها ساعتنا الأخيرة من السعادة، الساعة السابقة على الطرد والخزي"[2]، فعلى الرغم من اختلاف نوع الخطيئة إلا أنها ترتبط بعنصر مشترك وهو الشجرة، فتحمل دلالة رمزية حيث كانت سببا في خطيئة آدم في الجنة وهي كذلك المكان الذي تمّ فيه ارتكاب المحظور في المأمونة وينجم عنه عقاب من نوع آخر يختلف عن عقاب "آدم" ف "ماشاهو" يُبتلى بموت زوجته ورفيقة دربه بعدما ظهرت عليها مجموعة من أعراض بعد فعل الطرد من الأرض المقدسة، حيث أصبحت تعيش في حالة من القلق والاضطرابات النفسية أدت بها إلى الموت، وبذلك عاش "ماشاهو" في عذاب فقدانه لحبيبته، ففقد شغفه في الحياة مما جعله يرتكب الجرائم ويسعى لنشرها عن طريق ما يخلفه وراءه من ذرية تحمل نفس طباعه. فيمكن أن نلخص ما ورد أعلاه على النحو التالي:

[1]- رواية الآدميون، ص158.

[2]– رواية الآدميون، ص163.

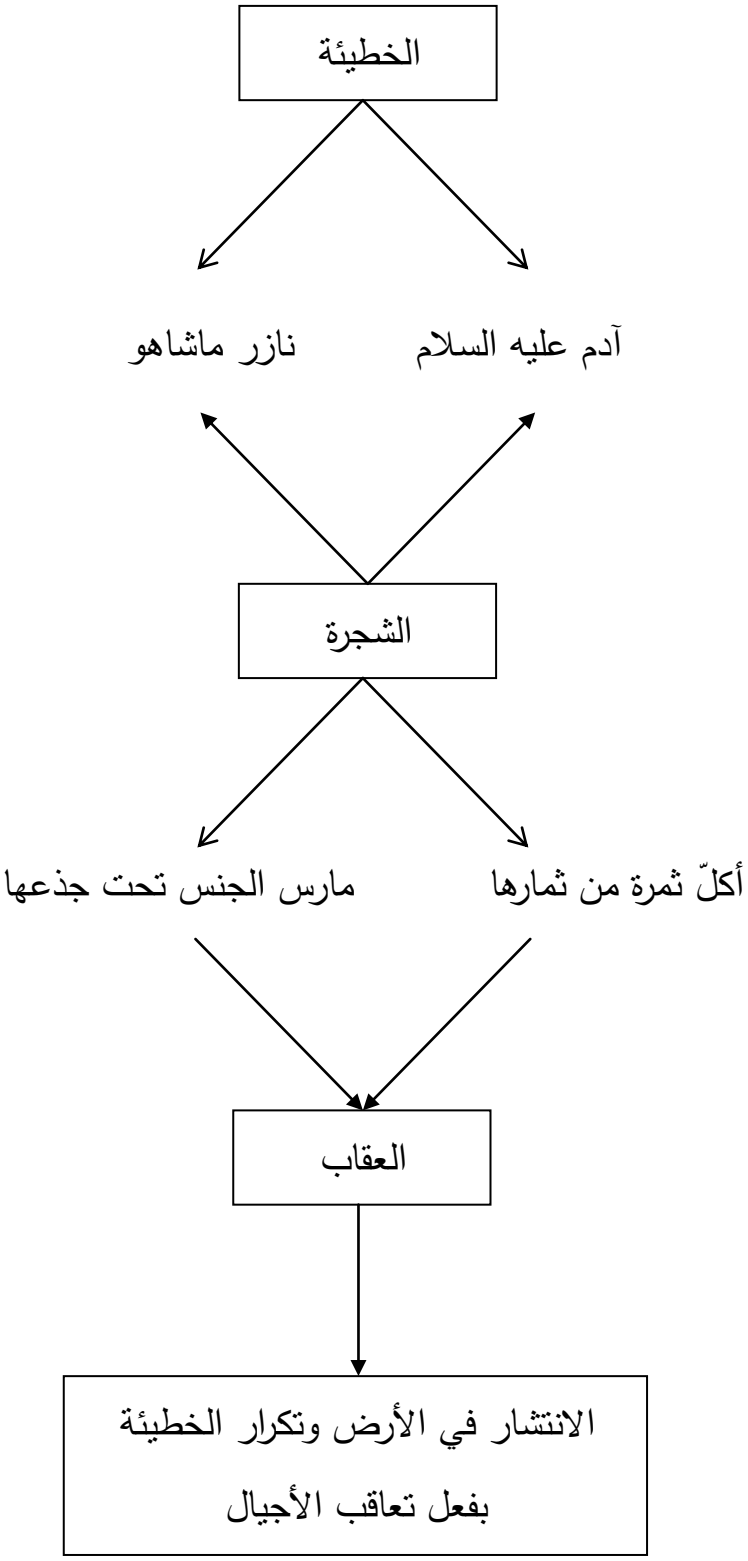
الخطيئة
آدم عليه السلام
نازر ماشاهو
الشجرة
أكلّ ثمرة من ثمارها
مارس الجنس تحت جذعها
العقاب
الانتشار في الأرض وتكرار الخطيئة
بفعل تعاقب الأجيال

نلاحظ إذا أن شخصية "نازر ماشاهو" تحاكي نبينا آدم عليه السلام فكلّاهما ارتكبا خطيئة تسببت في معاقبتهما، فخلفا ورائهما ذرية تحمل نفس طباعهما، فورثت البشرية عنهما الآثام ليزداد معها القلق الذي يعكس الحالة الذهنية للفرد قبل وبعد وقوعه في الخطيئة وتكرارها على مر الزمان.

2-نسق القلق الوجودي

بدأت رحلة الإنسان على الأرض منذ أو وطأت قدمه على سطحها، فبدأ يعي ويفكر ويحاول إقناع نفسه بفلسفات عديدة تتضمن وجود قيم وسلوكات ومبادئ مختلفة، فيسعى إلى فرض ما يتناسب مع المجتمع بمختلف أزمنته، فالعالم يمرّ بمجموعة من الأحداث التي تجعل الإنسان يعيد التفكير في نظام سيرورة الكون، فأفلاطون عندما قسم العالم في كتابه "الجمهورية" إلى عالمين، عالم مثالي وعالم حسي ركّز على القيم كمبدأ اسمى يرتكز عليه الوجود لتأتي بعد ذلك الفلسفة الوجودية لتعيد الاعتبار للذات الإنسانية كونها المحور الوحيد الذي تنبع منه مختلف العواطف الشعورية للفرد وهي بذلك تجعل منه جوهر الوجود.

ورواية "الآدميون" رواية بطابع فلسفي وبُعد وجودي حاور فيها "إبراهيم سعدي" مجموعة من الظواهر الهامة، وسلط عليها الضوء بشكلّ غير مباشر، حيث عمدَ إلى تقسيم أحداث الرّواية إلى قسمين، ضمّن كلّ قسم مجموعة من القيم والمبادئ التي صنفها تصنيفا متقابلا على نحو ما قام به أفلاطون في كتابه "الجمهورية" حين رأى "بأن هناك مستويين في الوجود يفوق أحدهما الآخر، ولكنهما متساويين مترابطين يمسّك أو يخدم كلّ منهما الآخر إلى حد ما"[1]، فيقصد بهذان المستويان مستوى العالم المثالي ومستوى العالم الحسي.

فالمستوى الأول يتجسد فيه الخير المطلق كأصل لكلّ الموجودات فهو "القيمة العليا التي يبحث عنها الإنسان ويجري ورائها لأنه يعتبرها فوق الكلّ ولأنه يرى أن لا وجود ولا

[1]- الربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر،1980, ص136.

كمال ولا سعادة إلا بها"[1]، فيجعل أفلاطون من الخير القيمة التي تقيم أساس عالم المثل، فالإنسان في نظره كائن خير بطبعه يحوي معارف وحقائق مطلقة تتسم بالمثالية، ولكنه يفقدها عند المرور على "وادي النسيان" فتتبدد بذلك كلّ تلك الفضائل الراسخة فيه ليصل بعدها إلى عالم آخر مخالف لما كان فيه، عالم ليس بحقيقي، عالم حسي نادر مادي تتخلله ظلال تحجب المعنى الكلّي للوجود والمعرفة، فيسعى فيه لاكتشافها وتذكر ما فقده من معارف وعلوم.

فالعالم المثالي من خلال الرّواية هو حضارة المأمونة في زمن ما قبل التيه وهي حضارة فاضلة يرتقي فيها المرء وهي تعتصم بالأخلاق الفاضلة لتنزل بعد ذلك إلى مستوى العالم الحسي في زمن التيه وما بعده، بفعل واحد، وهو القتل الذي يُعدّ في الرّواية مركز وبؤرة كلّ الشرور. حيث ورد في الرّواية على لسان السارد "حين قصد أرض الصمت موطن الجريمة الأولى وأصل التيه، كما ستصبح في ذاكرة المملكة بعد عقود وحتى قرون على عام الجريمة وجدها غارقة في السبات والفراغ"[2].

فبين العالم المثالي والعالم الحسي نجد "أرض الصمت" كواد للنسيان حيث جسدت بداية عهد جديد لزمن افتراضي أطلق عليه الكاتب "زمن التيه" حيث "قسّم زمن المأمونة إلى ما قبله وما بعده"[3] وبذلك تقسيمها إلى عالمين: عالم مثالي وآخر حسي.

يقف الراوي ليصف الحياة في زمن التيه للمأمونة باعتباره زمن الضياع والموت والاغتراب وفقدان الهوية، وكلّها مصطلحات تطرقت إليها الفلسفة الوجودية باعتبارها تيار فلسفي يعلي من قيمة الإنسان ويؤكد على تفرده، كونه صاحب تفكير وإرادة ولا يحتاج إلى موجه، فهي مذهب يتصل اتصالا وثيقا بالنزعة الإنسانية باعتبارها تهتم بالإنسان وتحاول

[1]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2]- رواية الآدميون، ص22.

[3]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الكشف عن حياته الخاصة، فما الوجودية إلا فلسفة متفائلة[1]. اهتمت بالوجود البشري وطبيعته فطرحت مجموعة من التساؤلات عنه وجود الإنسان في هذا العالم وما يصدر منه.

حاول "إبراهيم سعدي" من خلال موهبته السردية ومقدرته الفكرية تسليط الضوء على هذا النوع من الفلسفة في روايته في شخصية البطل "شين هاء" ليتقصى الوجودية وتجلياتها فعندما نبدأ بتصفح رواية "الآدميون" نرى أن القلق يسيطر على شخصياتها خاصة شخصية " شين هاء"، فبعد استلامه لمهمة حل لغز أرض الصمت يلازمه قلق وجودي يشعر به من لحظة اكتشافه أن وجوده في هذا العلم يتشارك فيه مع موجودات أخرى، فلم تكن "المأمونة" الحضارة الوحيدة الموجودة في الكون فنجده يقول في هذا الصدد: "أنبئكم أحبائي بأننا لسنا وحيدين في الكون، وبأن المملكة وفق ما أعتقد ليست وحدها الموجودة، كما ظلت المأمونة ولا تزال إلى اليوم تعتقد خطأ، إن الكون يا أبناء المملكة الطيبين أكثر رحابة وشساعة مما تصور أجدادنا" [2] كما يضيف في موضع آخر "إنني أنبئكم بأن الآدميين موجودين وهم مثلي ومثلكم ولكنهم مختلفون"[3]، فنلاحظ أن القلق هنا أداة كاشفة لماهية الوجود "إذ ينتج عمّا يشعر به الإنسان اتجاه وجوده عندما يكون ملقى ومتروك في هذا العالم مجبرا على الاختيار"[4] كمبدأ ينطلق منه لمواجهة الخطر الذي يهدّد وجوده.

لقد مرت "المأمونة" بالكثير من الأحداث التي جعلت المنقب "شين هاء" يعيد التفكير في القضايا المتعلقة بوجوده ووجود أفراد مملكته في هذا الكون الشاسع، من موت وحياة ووجود وعدم، لتتمظهر بذلك الفلسفة الوجودية وتجعل من مقولاتها مادة سردية تتحرك وفقها أحداث الرّواية. انطلق الروائي من الذات الإنسانية باعتبارها محور المبادرة ومنبع العواطف

[1]– ينظر: جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، تر: عبد المنعم الحنفي، الدار المصرية للطبع والنشر والتوزيع، ط1، مصر،1964، ص09.

[2]- رواية الآدميون، ص296.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– ايمان محمد بركة ثابت، الشعور بالقلق الوجودي لدى طلبة كلية الفنون الجميلة بجامعة الأقصى وعلاقته بالإبداع، دراسة قدمت للحصول على درجة الماجستير في علم النفس، جامعة الأزهر، القاهرة، 2016، ص 25.

الشعورية وأن "الإنسان هو الذي يكشف النقاب عن العالم، لأنه يتحتم عليه وهو يخرج إلى الوجود كجزء منه أن يلتفت إليه، وأن يهتم به على الرغم منه لأن وجوده متوقف عليه"[1] وهذا يجعل الإنسان يشعر بالتوتر والقلق الذي يصاحب حياته حين يتنقل من الماضي إلى الحاضر ثم المستقبل، فيؤثر على ممارسته لحريته الوجودية واتخاذه القرارات المصيرية ولفهم موضوع القلق في رواية "الآدميون" نضع تصورا شاملا له، حيث يجعل رؤيتنا للموضوع واسعة فيتبدد بذلك الغموض عنه فيمكن أن نمثله على النحو التالي:

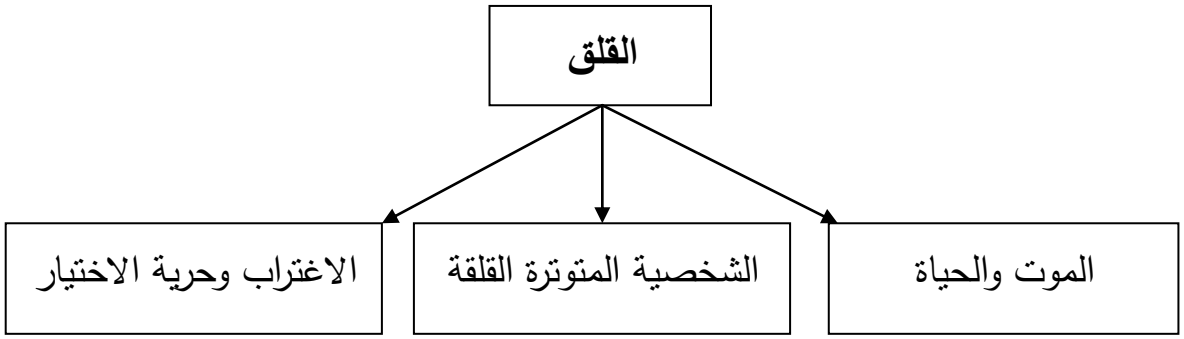

ومن هنا تجدر الإشارة إلى أن القلق الوجودي انطباع تحدثه أحداث وتجارب يدرك من خلالها الفرد فناءه وانفصاله عن الوجود، ليخوض في العدم. فيتجلى في رواية " الآدميون" من خلال ما عاشه "شين هاء" من اضطرابات جاءت على النحو التالي:

- **الموت والحياة:**

تعدّ ثنائية الموت والحياة من أعقد الفلسفات التي أثارت الجدل نظرا لارتباطها بمصير الإنسان، وهذا ما يجعلها أكثر تكرارا في القرآن الكريم باعتبارها أحد أهم أسرار خلق الإنسان لقوله تعالى:﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [2]. والحياة تشير إلى فترة تواجد الكائنات الحية على سطح الأرض من لحظة ميلادها إلى غاية مماتها، فتشمل كلّ الأحداث والظواهر التي يتعرض لها الفرد طيلة فترة البقاء. وعليه يرى بعض المفكرين

[1]- الربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، ص323.

[2]– سورة الملك، الآية 02.

أن "الحياة ما هي إلا موت لأن الإنسان يشرع في الموت بمجرد أن يولد، وهي الفترة المحدودة في المدة التي تستغرقها عملية وفاته"[1]، أما "جميل صليبة" فيذهب إلى تعريف الحياة إلى القول أن: " الحياة في اللغة نقيض الموت وهي النمو والبقاء والمنفعة والحي كلّ شيء نقيض الميت"[2]. لا يستوعب الإنسان ماهية الحياة إلّا من خلال الموت فينتقل من وجود حسي إلى وجود روحي حيث يحدث توقف كلّي للوظائف الحيوية التي يقوم بها الجسد من شرب وأكلّ وتنفس لينقضي بذلك أجله.

ورواية " الآدميون" تحمل تعبيرا دقيقا واصفا عبّر الروائي فيها عن ثنائية الموت والحياة بلغة فنية بسيطة، تتوقف عند الأثر الذي يتركه الموت داخل الكيان الإنساني من مشاعر وأحاسيس مختلطة، إذ يحمل الموت العديد من التساؤلات التي جعلت شخصية "شين هاء" تعيش في حالة خوف شديد بحكم أن الموت "قضية حتمية لا مجال للسؤال فيها، فسارتر يقول بأنه لا يمكن أن نفكر فيه وننتظره فهو ليس عقبة تعيق مشروعات الفرد وإنما هو مصير يقع في مجال آخر لهذه المشروعات"[3]. وما الموت إلا طريق يعبره الإنسان فيمر من حياة كان يحياها ليمهد لحياة أخرى جديدة، وتجربة الموت في رواية "الآدميون" جاءت بمنحى خاص حيث عمد " إبراهيم سعدي" إلى الحديث عنه باستحضاره لنوعين من الموت أولهما المنية الطبيعية التي تحدث بحكم القدر والثانية تأتي بفعل القتل. وبين المنية والقتل خط رفيع رغم اشتراكهما في نقطة واحدة وهي انتقال الإنسان من حياة يعلمها الجميع إلى حياة مجهولة لا يعلم كنهها أحد، وهو انتقال من الوجود إلى اللاّوجود فلم يسبق لأحد غادر هذه الحياة وعاد إليها.

وتتمثل المنية في النهاية الطبيعية لأي كائن حي، فهي أمر مقدر يتقبله الإنسان على الرغم من مروره بحالة من الحزن الذي يتجاوزه بعد انقضاء مدة من الزمن. عرفت "المأمونة" هذا النوع من الموت على مدى عقود طويلة باعتباره الوسيلة الوحيدة التي يغادر بها الفرد

[1]- أمل مبروك، فلسفة الموت، دار التنوير، د ط، بيروت، لبنان، 2011، ص08.

[2]- جميل صليبة، المعجم الفلسفي، دار الكتب اللبنانية، الجزء الأول، د ط، بيروت، لبنان، 2008، ص503.

[3]- أمل مبروك، فلسفة الموت، ص14.

حياته، فنجد سارد الرّواية "حسن طومباز" يقول :"لم تعرف المملكة غير نوع واحد من الموت، ذلك الناجم عن طول العمر، موت يأتي المخلوق في فراشه، طارقا الباب معلنا قدومه وأسفه"[1]. وقد لاحظنا أن كلّ حالات الوفيات التي تم تسجيلها في المملكة كانت ناجمة عن طول العمر حيث يهرم الجسد ويشيب الشعر وتتدهور الصحة البدنية. أما القتل فيتمثل في إنهاء حياة الفرد بشكلّ غير طبيعي حيث يتدخل في ذلك عامل بشري يخرق قانون الطبيعة فيسبب في قتل النفس بعد ألم ومعاناة للضحية، وقد ظهر هذا النوع من الموت في الرّواية عندما تمّ الإبلاغ عن خبر وجود جثة مشوهة في أرض جرداء تخلوا من مؤشرات الحياة، وقد وصف السارد هذا النوع من الموت بقوله:" موت يحدث تشوهات كبيرة في الجسم مما يجعل الدم يفيض خارجه ويسبب آلام عظيمة لصاحبه(...) ويحدث في الخلاء بعيدا عن العمران وعن الأهل والأقارب"[2] فبعدما كان الموت "منية تأتي المخلوق في بيته بين ذويه معززا مكرما كما لو أنه مغادرا في رحلة، صحيح أنه لا أمل في العودة منها لكن ليس كما المخلوق المسكين مطعونا مرميا في الخلاء على الأرض غارقا في سائله الحيوي المهدور لا أحد يودعه أو يذرف عليه قطرة دمع"[3]. أصبح الموت بفعل التعدّي على الجسد وقتل النفس فنلاحظ أن الفرق بينهما يكمن في الإحساس والشعور الذي ينتاب الضحية عند مغادرته لهذه الحياة، فالمقتول يغادرها وعلى وجهه معالم الحزن والألم لما تعرض له من تعنيف أما في المنية فيغادر وعلى وجهه تقاسيم الفرح والطمأنينة والسكينة.

وبين القتل والمنية صراع بين القبول والرفض، قبول حقيقة الموت والاستعدّاد له فهو حقيقة تشعر بواسطتها الذات بكلّ معاني وجودها، أما الرفض فيتجسد في اجتناب الفرد انهاء حياته وحياة الآخرين فيبتعدّ عن كلّ ما يلحق بهم الضرر بكلّ الطرق الممكنة.

[1]- رواية الآدميون، ص25.

[2]- المرجع نفسه، ص 41.

[3]- نفسه، ص102.

●الشخصية المتوترة القلقة

مع الإيقاع السريع لحركة حياة المأمونيين في الأيام التي تلت جريمة قتل "أرض الصمت" أصبح التوتر سمة من سمات أفرادها، حيث نشأ هذا التوتر من التراكمات الداخلية في النفس الإنسانية لما تعرضت له من صراعات مختلفة على أرض الواقع المؤلم في ظل الظروف الصعبة. فنجد أن القلق سمة ترافق المنقي "شين هاء" الذي بدأ يشعر بنوع من العاطفة التي جعلته غير راض بواقعه نظرا للمخاطر التي تحيط بمملكته بعد اكتشافه وجود عالم مختلف تماما عن العالم الذي يعيش فيه، ويتضح ذلك من خلال القول السارد: "لطالما تحدث شين هاء في الحقيقة عن الآدميون في خرافاته(...) كان دائم البحث عن حقيقة وجودهم من عدمه"[1]، فنلاحظ أن "شين هاء" تنبأ بوجود عالم آخر يوازي عالمه فيقول: "الكون أوسع من سعة لغتنا الجميلة وأكثر ثراء منها بما لا يقاس فما لا نزال نجهله عن الكون مهول في شساعته وضخامته"[2]. فاشتد به القلق حتى أصبح مريضا وسيطرت على عقله مجموعة من التصورات المؤلمة في ظل الظروف الصعبة حيث كان "لا يكف عن التساؤل إذا كان ساكنة المأمونة هم الوحيدين في الكون أم هناك كائنات أخرى غيرهم"[3]، ف "شين هاء" هنا يربط مصير حضارته بالآدميين فيتساءل عن وجودهم من عدمه وعمّا إذا كان وجودهم يشكلّ خطرا على المملكة ويهدد أمنها وسلامتها، فحفزه ذلك على تقدير المواقف وتحليل الأسباب ويزن ما تتطلبه الظروف، وكان لقلق "شين هاء" منابع عديدة نتجت عن اتباعه سلوكات تتنافى مع الأنظمة السائدة في المأمونة حيث كان دائم الشعور بالاغتراب والحيرة.

[1]- رواية الآدميون، ص27.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- نفسه، ص ن.

● **الاغتراب وحرية الاختيار**

يعبر الاغتراب عن انفصال الذات عن الواقع وذلك بسبب الانغماس وراء المستجدات والشعور بانعدام المعنى من الحياة فيعززه الشك الذي يُولد نوع من العزلة والانفصال عن الآخرين، وهو هم عميق يتعلق فيما إذا كان الإنسان يعيش حالة سوية ذات معنى والاغتراب شعور صاحب المنقب "شين هاء" منذ اللحظة التي كُلّف فيها بحل لغز جريمة القتل، حيث انطلق من حضارته وتنقل بين أرجائها وفي ذهنه مجموعة من التساؤلات التي جعلته يعيش حالة من القلق والاضطراب، وهذا ما جعل النوم يغيب عنه والشك يدخل قلبه بفعل الأسئلة التي ظل يطرحها وتظل معلقة دون جواب إذ يقول: "من يكون مخترع هذا النوع من الموت؟ ما غايته؟ كيف جاءته الفكرة؟ كيف اهتدى إليه؟ لما وقع اختياره على ايلام طوث؟"[1] وكلّها أسئلة جعلت منه شخصا مضطربا لا يعرف ما الذي يفعله فتراوده كوابيس وأحلام مختلفة نتيجة للمسؤولية التي يجب ان يتحملها إزاء المهمة التي كُلّف بها فهو بذلك يكون مرغما على الاختيار ما دام هناك خطر يهدد أمنه ووجود مملكته، وما جعله يشعر بالاغتراب هو الفضول والمغامرة وحبه للمجهول والرغبة في المعرفة فيقول: " أعشق التفكير فيما يتجاوز الحواس وأتوق إلى معرفة ما يوجد وراء المملكة وما بعدها وهل حقا لا يوجد ورائها غير العدم"[2] فنفهم من خلال هذا الاقتباس أن "شين هاء" تنصل عن حياته مع أفراد مملكته فأصبح غريبا عنهم حيث انْزَوى في بقعته الخاصة ليخوض مغامرة بعيدا عن أهله متخذا من العزلة والوحدة الرفيق الذي يواسيه في رحلته الجديدة للبحث عن الكينونة الضائعة بعد اتخاذه لقرار مصيري لا سبيل للرجعة فيه.

عندما يتعرض الإنسان للخطر الحقيقي يتحتم عليه اتخاذ مجموعة من التدابير التي تقيه شر المجهول، فكان "شين هاء" أكثر حيرة ومسؤولية عندما قرّر الخوض في المجهول

[1]– رواية الآدميون، ص23.

[2]- المرجع نفسه، ص39.

وصرح بذلك عندما قال:" أنا ذاهب في رحلة لا أعلم نهايتها لاستكناه ما يوجد وراء تخوم أرض الصمت، فإذا لم أعد إلى المملكة في يوم من الأيام، فاذكروا بأنني أول من خاض في العالم المجهول بحثا عن الحقيقة"[1]، وعلى الرغم من أن "هاء" يجهل نتائج القرار الذي اتخذه إلّا أنه مقتنع في قرارة نفسه بأنّه فعل الصواب، لأنه خرج في رحلة البحث عن أسرار الوجود التي اعتبرها هدفا مقصديا سعى إلى بلوغه على الرغم من اختلاط مشاعره حيث صرّح قائلا: "احس بنفسي مخلوقا يخوض في المجهول لا أعلم إلى أين سيفضي بي الطريق"[2] ف "شين هاء" يشعر بحالة من الضياع بحيث كان يتوجب عليه إشباع حاجته النفسية الجوهرية المتمثلة في البحث عن المغزى من وجوده، ووجود أفراد مملكته، ليختار بحرية مطلقة المجازفة رغم معرفته بمصيره المشؤوم الذي قبل به حيث يقول: "لعله عالم الأهوال والخطوب (...) فأكون حينها من الهالكين، لكن ليس من الخاسرين، لأن هلاكي سيكون عنده علامة اليقين"[3]، فنلاحظ أن "هاء" على استعدّاد تام للتضحية، قبل بالهلاك والموت الحتمي في سبيل بلوغ الحقيقة وهو بذلك يتجاوز خوفه من المجهول فشجاعته شحذت عزيمته، كما يوصي أفراد مملكته عندما يقول: "وصيتي الأخيرة إليكم بني المأمونة، أن تخلوا عنكم الخوف من المجهول، وأن تقرأوا وتفكوا لغز العلامات المبثوثة في مختلف أرجاء المملكة"[4]، كانت وصيته الإبتعاد عن الخوف والتحلي بالشجاعة لكشف النقاب عن هذا العالم الواسع والمجهول.

وعليه فإن القلق الوجودي شعور يُرافق الإنسان في رحلته الوجودية، حيث تتراكم داخله مجموعة من الأحاسيس كالقلق، الاغتراب، الحيرة والشك. وقد يغدو عنصرا إيجابيا يحقق للفرد تكيفه مع الواقع ومتطلباته.

---

[1]- رواية الآدميون، ص299.

[2]- المرجع نفسه، ص14.

[3]- نفسه، ص298.

[4]- نفسه، الصفحة نفسها.

3- صراع الوافد والمقيم ونسق التعايش

سعى "إبراهيم سعدي" في روايته إلى معالجة منظومة من القيم على أساس ميتافيزيقي وفلسفي، حيث عمد إلى تقسيم الرّواية إلى عالمين عالم المأمونيين المثالي، وعالم الآدميين الحسي، وأدى ذلك إلى خلق نسق مضمر يهيمن على مسار أحداث الرّواية، ويتمثل هذا النسق في التعايش بين العالمين.

والتعايش في مفهومه المعاصر "كلّمة تعني العيش المشترك مع الآخرين، ولا يكون التعايش إلّا بوجود الألفة والمودة، ولا يعيش الإنسان مع غيره إلّا إنْ وجد بينهما تفاهم ورغبة بعيشة مشتركة لُحمتها الألفة وسداها المودة"[1]، هذا يعني أن التعايش عملية تفاعلية تقوم على أساس الاحترام المتبادل بين الأفراد قصد خلق عالم آمن ومستقر، يتيح للجميع العيش بكرامة وحرية، كما يتيح أيضا فرصة التعرف على ثقافات وحضارات مختلفة، والتعايش بشكلّ عام يعني "أن يعيش البعض مع البعض الآخر المختلف، وأن يكون هذا التعايش المتبادل قائما على المسالمة"[2]، وهذا ما يذهب إليه إبراهيم سعدي في روايته الآدميون فيتجسد موقفه من التعايش بشكلّ بارز من خلال الوصية التي كتبها على لسان الشخصية البطلة المنقب "شين هاء" حيث يقوم هذا الأخير بتحذير قومه من خطر سحق هويتهم ويدعوهم إلى ضرورة التمسك بمبادئهم وقيمهم السمحة، وقد جاء على لسان "شين هاء" قوله: " إذا ما ساعفكم الحظ خير مني(...) وعثرتم على ذرية ماشاهو أو على مخلوقات قادمة من عالمه فعاملوهم بالحسنى وثقفوهم وفق قيمنا الكريمة السمحة وخذوا منهم ما قد يفيدكم في حضارتكم، وأسعوا إلى معرفة ماذا جاؤوا يفعلونه في مملكتنا، لكن ل تأخذوا منهم القتل

[1]- هاني المبارك، شوقي أبو خليل، الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، 1996، ص12.

[2]- قواسم بن عيسى، الاتصال التعايشي وإدارة الاختلاف من صدام الحضارات إلى ثقافة العيش المشترك، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، مجلد03، العدد03، الجزائر، سبتمبر2020، ص129.

والعدوان، وأكلّ لحم كائنات حية ذات روح مثلنا وغير ذلك من أفعال السوء"[1]، فهذا يحيلنا إلى أن المنقب أراد إقامة جسر تواصلي بين عالمه وعالم الآدميين، يقوم على أساس التعايش أي ما يسمى بالاتصال التعايشي الذي هو عبارة عن " عملية تفاعلية دينامية مستمرة يتم فيها تبادل المعلومات والأفكار والمعاني والرموز والإشارات بين طرفين على الأقل، يكونان مختلفين في اللغة أو الدين أو العادات والأفكار...إلخ في جو من الاحترام المتبادل والتعاون دون أن يقصي أو يحتقر أحدهما الآخر، أو يتعدّى أحدهما عن الآخر"[2] فعليه نجد في الرّواية ما ورد على لسان المنقب "هاء": "فلسوف أسعى إلى نشر المحبة والسلام والتعاون بيننا وبينهم، وإلى تأسيس حضارة جديدة مشتركة معهم، وإلى إبعادهم عن فكرة تدمير حضارة المملكة وإلى جعلهم ينبذون القتل وما سواه من الشرور"[3]، ف "شين هاء" هنا يسعى إلى بناء حياة مشتركة مع الآدميين ليعيشوا معا في جو يسوده الأمن والطمأنينة والسلم بدون أي عنف وصدام. فيعتمد على الحوار كوسيلة حضارية تهدف إلى ترسيخ روح الجماعة، بحيث تشع في المجتمع روح قابلة للتعايش، تسعى لإقامة العدل والمساواة حول ما اتفقوا عليه ويعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه، وعندئذ تنجح عملية التعايش والتفاهم بين الأفراد والمجتمع الواحد وبين الشعوب المختلفة[4]، فالتعايش يقوم على أساس التعدّدية من أجل تجنب الصّراع والتضارب في الرؤى والأفكار، إذ لا يمكن القبول بنسق واحد من التفكير والسلوك، فيجب على أفراد المجتمع قبول الآخر المختلف والتعايش معه داخل حيز مكاني وزماني متقارب ومشترك، وهذا ما نستشفه من خلال ما دعت إليه اللجنة التي أنشأتها المأمونة لتحليل كلّام ورسالة "نازر ماشاهو" حين قرّرت "إقامة علاقة مصاهرة مع أهل الجحيم من الغزاة واستقبالهم استقبال الضيوف على أساس أن المملكة يمكنها أن تتسع

[1]- رواية الآدميون، ص297.

[2]- قواسم بن عيسى، الاتصال التعايشي وإدارة الاختلاف من صدام الحضارات إلى ثقافة العيش المشترك، ص132.

[3]- رواية الآدميون، ص298.

[4]– ينظر: هاني مبارك، شوقي أبو خليل، الإسلام والتفاهم والتعايش وبين الشعوب، ص14.

للجميع، بأنه قد ينجم عن ذلك خير مشترك"[1]، فعلى الرغم من استشعار هذه اللّجنة خطر الغزو وما ينجم عنه من حصار إلا أنها عملت على تجسيد عملية التعايش على أرض الواقع بهدف نشر الوعي وتوفير جو ملائم يسوده الاستقرار السلمي بين الحضارتين.

تحدث عملية التعايش عندما يكون هناك طرفين مختلفين يسعى كلّ منهما إلى تقبل الآخر في نطاق الحوار، فيعملان على أساس مبدئي قائم على التأثير والتأثر، فالتعايش يقتضي إقامة علاقة تأثيرية تمكن أفراد المجتمع المقيمين من بناء جسور التفاهم والتواصل مع الوافدين إليه، ليتمكنوا من بناء علاقات متينة تعكس التأثير المتبادل بينهم بأسلوب يعبر عن الاحترام والتفاهم.

والوافد بالمفهوم المتعارف عليه يعني "القدوم من مكان آخر غير المكان الذي حضر إليه"[2] أي انتقال الفرد من المكان الذي نشأ فيه إلى مكان بعيد وغريب يستقر فيه، ويكون هذا الانتقال إما برغبته الشخصية فيعتبر مهاجرا أو يقوم أحد بإرساله قصد قضاء حاجة معينة أو أداء مهمة معينة كلّف بإتمامها، كما هو الأمر بالنسبة ل "نازر ماشاهو"، فهو شخصية وافدة إلى حضارة المأمونة، قام بإرساله سارد الرّواية "حسن أحمد طومباز" وكلّاهما غريبان عن المملكة، ويختلفان عن ساكنيها في كلّ صفاتهم الخلقية ومع ذلك أقاما علاقات مبنية على أساس الزواج، الصداقة وجل العلاقات الودّية، وكانت غايتهما من ذلك أداء مهمة سرية هدفها تدمير المأمونة وزعزعة وحدتها واستقرارها. فبعدما قام "ماشاهو" بدراسة العلاقات القائمة بين أهل المملكة والأنظمة الاجتماعية السائدة فيها، استهدف احدى بؤرها الحساسة ليغيرها، فأثر ذلك على بقية الأنظمة الأخرى، وعليه نجد الوافد في رواية "الآدميون" يتمثل في شخصيتين، شخصية "نازر ماشاهو" وشخصية "حسن أحمد طومباز"

[1]- رواية الآدميون، ص207.

[2]- أحمد محمود محمد، وآخرون، الموروث الثقافي الشعبي وانعكاسه على أحداث التكيف الاجتماعي داخل البلاد الخاصة– دراسة أنتروبولوجية لعينة من الوافدين والنازحين الأفارقة المقيمين بالقاهرة، مجلة العلوم البيئية، المجلد48، الجزء 03، مصر، ديسمبر2019، ص311.

وهذا الأخير شخصية ثانوية تظهر في بداية الرّواية ونهايتها فقط. وهو شخص غريب عن المملكة قام بإرسال مبعوث لأداء مهمة خاصة تتضمن غرس قيم ومبادئ حضارته ومعتقداته الفكرية الشريرة في أرض طيبة لا يعرف أهلها سوى الخير بكلّ مظاهره، فجاء في الرّواية على لسان المنقب "شين" :"لماذا إذا أرسلت إلينا نازر ماشاهو (...) لماذا بعثته إلينا ليُدخل الشر إلى المأمونة"[1]، و"شين هاء" حين قام بطرح السؤال على "طومباز" أراد الاستفسار عن السبب الذي دفعه إلى ارتكاب ما ارتكبه من جرائم ونشره للفساد على الرغم من علمه أن المأمونة مملكة مسالمة حتى مع الحيوانات، ولكن مع ذلك لم تسلم من ويلات الصّراع بسبب الوافدين إليها من حضارة الآدميين، تلك الحضارة الهمجية المتوحشة التي تقوم على إراقة الدماء، وإضافة إلى ذلك نذكر اعتراف "طومباز" حين قال:" إنني من بني آدم، يا هاء (...) لا يمكن لي، أنا أو لغيري، أن نرتقي إلى مستوى حضارتكم الرائعة، فما نحن إلّا آدميون"[2]، وهذا اعتراف صريح من "طومباز" بانتمائه لعالم الآدميين ذلك العالم الذي يجسد كلّ مظاهر وصور الخداع والمكر.

نجد إلى جانب "حسن أحمد طومباز" "نازر ماشاهو" كشخصية مركزية ومحورية مسيرة لجميع أحداث الرّواية، فما هو إلّا مبعوث تم إرساله لتنفيذ مهمة كلّف بأدائها ليعود بعد ذلك إلى موطنه الأصلي، فاكتسب صفة الإنسان المخادع، والوهمي، والصديق الصادق، والعجوز الحكيم، الوفي الخائن، فجمع بين كلّ الصفات المتضادة وقد اكتسب الصالحة منها من الحضارة التي وفد إليها، بعدما اكتسب العناصر الثقافية التي يتميز بها المقيم في ذلك المجتمع، فزادته قوة التكيف مع بيئته الجديدة الاندماج فيها. ويتجلى ذلك في الرّواية من خلال بعض الكلّمات التي يتلفظها بحيث جاءت على صيغة الضمير "نحن" في مواضيع مختلفة، نذكر من الرّواية الاقتباسات التالية:

[1]- رواية الآدميون، ص311.

[2]- المرجع نفسه، ص309.

-"لا يشبه ما نعرفه في المملكة"[1].

_" إن الموت ليس واحدا كما كنا نتوهم"[2].

_" يجب أن نسلم، المحترم، بأنه يوجد نوع آخر من الموت غير ذلك الذي عرفته المملكة منذ نشأتها"[3].

ونلاحظ أن هذه المقتطفات من الرّواية جاءت على صيغة الجمع ف "ماشاهو" هنا يتحدث بصفته فردا من أفراد مملكة المأمونة، وهو على دراية تامة بتاريخها المجيد الذي يخلوا من مظاهر العنف والاستبداد، فاكتسب معارفه هذه من خلال الرحلات الاستكشافية في أرجاء المملكة أثناء سعيه لنشر المظاهر الثقافية الخاصة بمجتمعه، فنجده يقرّ بحقيقته حين قال: "أنا لست في الواقع ذلك العجوز الطيب(...) إنما رجل فذّ، مجرم مخادع"[4] إضافة إلى ذلك قوله:" هذا الآخر هو أنا"[5]، وهذه المقتطفات تحيل إلى أن "ماشاهو" هو الوافد المختلف والغريب إذ لا يشبه سكانها في طيبتهم أو في عقائدهم وثقافتهم، وإن مثّل دور الفرد الصالح وحاول الانصهار في عوالم المأمونة الداخلية ولكنه يبقى آدمي بطبعه يجسد الشر بكلّ صوره كما "الغواية، الخداع والخيانة وغيرها من مظاهر الشر"[6]، وكانت هذه المظاهر السبب الرئيسي في تدمير المملكة بكاملها، وهذا ما نستشفه من خلال قوله:" لقد أديت مهمتي بإتقان أكثر مما كنت أتصور، المنقب الطيب، وأكثر مما كنت آمل حتى بالرغم من أنني خاطرت إلى أبعد الحدود"[7]، فقد جاء "ماشاهو" إلى المأمونة ليدنس أرضها الطيبة، ولينتهك حرمة شعبها لتسود فيها كلّ مظاهر وصفة الآدميين، وبذلك تنقرض هذه

[1]- رواية الآدميون، ص09.

[2]- المرجع نفسه، ص10.

[3]- نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- نفسه، ص142.

[5]- نفسه، ص141.

[6]- نفسه، ص198.

[7]-نفسه، ص148.

المملكة التي طالما عاش أهلها في سكينة وأمان، ليذهب في نهاية المطاف سكان المملكة ضحية لوافد غريب استطاع قلبها رأسا على عقب من خلال ارتكاب فعل واحد وهو جريمة القتل التي خلفت وراءها مجازر، دفع ثمنها شعب لم يتمسك بعقيدته، فتزعزعت بذلك لُحمته وتماسكه، ولأنه لم يطبق الوصية التي تركها المنقب "هاء" والتي يدعوا من خلالها سكان المأمونة إلى ضرورة الحفاظ على قيمهم السامية، وعدم الانسياق إلى كلّ ما يجلبه الوافد من قيم وآليات، فيختارون بعناية ما يفيدهم ويخدم حضارتهم، ولكن حدث عكس تلك الوصية وانتشرت كلّ القيم السّلبية التي أدت إلى انحطاط المجتمع.

والتعايش في النهاية قرار يتخذه الفرد أو الجماعة بناء على معتقداته، ولكن قبل الإقدام على أي خطوة يجب أولا دراسة النتائج التي ستتولد عن كلّ خطوة، فيوضع في عين الاعتبار أمن المجتمع واستمراريته كأولوية يجب تحقيقها، وذلك بفعل التمسك بالعقيدة الصحيحة للمجتمع والأخذ بالنقاط الإيجابية والتقنيات الحديثة الأجنبية الوافدة لضمان بناء مجتمع متلاحم ومتماسك في مختلف القطاعات من خلال الاستغلال الجيد لعملية التأثير والتأثر القائمة بين الثقافات المحلية والثقافات الوافدة.

هكذا إذا تتحدد العلاقة بين الأنساق الثلاثة (نسق الخطيئة، نسق القلق الوجودي ونسق التعايش) وهي علاقة قائمة على فكرة الصّراع، فالقلق الوجودي الذي بدأ مع بداية الخلق ورغبة آدم في الخلود والوجود الأبدي هو الذي جعله يخضع ويستجيب لغواية الشيطان فيرتكب الخطيئة ويأكلّ من شجرة الخلد التي حرّمت عليه، فيطرد إلى الأرض ويبدأ الصّراع مع ذريته ونسله لتتولد عنه صراعات مختلفة أنواعها وأشكالها بين الأفراد وبين الجماعات بين الشعوب والأمم، بين الحضارات، بين المركز والهامش، التابع والمتبوع، المتقدم والمتخلف...مما يجعل فكرة التعايش جد ضرورية ليضمن الضعيف والمهمش، والمتخلف والتابع...استمرارية وجودهم الذي كان أصلا نقطة البداية، ويمكن أن نمثل لهذه العلاقة على النحو التالي:

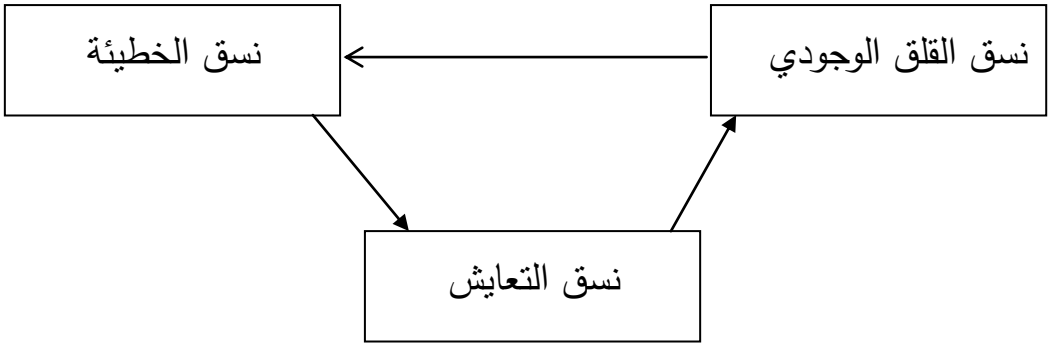

إن مثل هذا الوعي بصيرورة الصّراعات لا يمكن أن يصدر إلا من روائي مثقف وواعي يحمل همّ أمته ومجتمعه وملتزم بقضاياه الرهينة، وما خطاب هذه الرّواية إلّا تجسيدا لعملية بحث عن عالم مثالي يريد الروائي "إبراهيم سعدي" الوصول إليه، وهذا ما يتجلى في الرّواية بشكلّ واضح، ونستشفه من خلال الأسئلة التي طرحها " المنقب شين هاء" على المؤسس الذي هو "حسن أحمد طومباز" حين عثر عليه، حيث يقول:" لماذا أرسلت إلينا نازر ماشاهو وأدخلت فكرة القتل إلى المملكة؟ لماذا بعثته إلينا ليدخل الشر إلى المأمونة؟ هل كنا نعرف معناه أو أي مفردة من مفرداته؟ لماذا أرسلت إلينا من دمر حضارتنا وزرع فيها بذور الشر؟"[1]، فبعدما عاش المنقب وأفراد مملكته لمدّة من الزمن على قناعة تامة بالخير المطلق ولا وجود لشيء آخر غيره في العالم ينصدم باكتشاف زيف هذا المعتقد، فهو في رحلة البحث عن المجرم الذي هرب إلى العالم المجهول ليتحول من طبيعته الخيرة والتي جُبل عليها منذ الأزل إلى طبيعة بني آدم والتي آل إليها من دون وعي منه، فصار يشبهه، إلى حد بعيد في طريقة المعاملة والوحشية والغضب والرغبة في الانتقام. وكلّها مظاهر تشكلّ خطرا يهدد الكيانات الاجتماعية والثقافية، وبعد انتشارها في المجتمعات العربية تخوف "إبراهيم سعدي" من عواقبها والتي صورها في روايته فعوض التصريح بذلك اختار المأمونة كمملكة تعيش نفس أحداث بني قومه فتصور نهايتها المأساوية على النحو التالي "المملكة لم تعدّ موجودة، حضارة المأمونة زالت، انقسمت المملكة إلى كيانات لا تتخيل عددها، لا تنتهي حرب بين هذا الكيان وآخر إلّا لتبدأ أخرى بين هذا وذاك، كبار الأمناء صاروا لا يمشون

[1]- رواية الآدميون، ص311.

بين الناس لا يقيمون العدل"[1]،وعليه فإن السبب الرئيسي الذي أدى إلى دمار المملكة هو انتشار مجموعة من القيم السّلبية التي ولدت صراعات داخلية مفتعلة من طرف أناس مجهولي الهوية لا يمدون بأي صلة لسكان المملكة، والروائي لم يفصح بصفة مباشره عنهم فاكتفى بذكر فصيلتهم "بني آدم" وهو في الحقيقة يقصد بهم الدول الغربية فهي المتربص الوحيد لخيرات البلدان العربية، وتسعى إلى تدمير وتقويض قيم ومبادئ الحضارة العربية والإسلامية، وقد بدأت تحقق ذلك من خلال زعزعة تماسك وتحالف الدول. هذا هو حال الدول العربية وكدليل على ذلك ما يحدث في الأرض المقدسة في فلسطين الضريرة التي تخلت عنها معظم الدول العربية وتركتها تواجه المحتل وتعاني من مخلفات القصف والقنابل التي دمرت أراضيها وشردت شعبها وجعلتهم يعيشون حالة فقر ومرض وألم، فصور الكاتب كلّ هذا كحدث مرّت به "حضرة العزيزة" في مملكة المأمونة فيقول غلى لسان" ماشاهو": "الغزو أكمل تدمير ما تبقى منها، لم يعد يرى أيامها غير الخراب، قوافل المتشردين لا نهاية لها ولا مستقر، ينهشهم البرد والمرض والجوع واليأس، في كلّ مكان ترى نساء وأطفال وعجزة بأسمال بالية وأجسام ضامرة ومريضة في طوابير لا بداية لها ولا نهاية يبحثون عن ملاذ ولا يجدونه"[2]، فكان هذا المشهد يصف الحالة التي آلت إليها "المأمونة" بفعل تلك الأيادي الخفية التي نجحت في مخططاتها، وحوّلت حياتها إلى خوف ودمار.

وقد كانت الخيانة سببا في سقوط حضارة "المأمونة" وانحطاطها ووقوعها في فخ الحروب، فبعد انتشار الخيانة في المملكة ولدت مجموعة من المظاهر كالزنا والاغتصاب والانتحار، وهي ظواهر اجتماعية توقف الروائي عند أثرها على البناء الهيكلّي والتنظيمي للمجتمع "والروائي أثناء سرده للوقائع والأحداث يضمر أفكار يوّد هو كسارد لها تمريرها لوسطه الاجتماعي إما على لسان الراوي أو الشخصيات المتصارعة داخل الرّواية"[3]، وهذا

[1]- رواية الآدميون، ص312.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- شريفة بوكاف، علاوة ناصري، إيديولوجية الكاتب في رواية " الآدميون" لـ "إبراهيم سعدي" –مقاربة تأويلية –، ص207.

يدل على التزام الكاتب "إبراهيم سعدي" بقضايا أمته والواقع الراهن، فنجده يناقش مظاهر سلبية انتشرت في المجتمع العربي بشكلّ رهيب ومفاجئ وسريع أيضا، فتوقف عند أسبابها ونتائجها وذلك من أجل تثقيف المتلقي وتحذيره من هذه المظاهر، ومن عواقب الانغماس والانسياق ورائها تحت شعار التحرر والتقدم الذي يحاول الغرب إيهام العرب به، فيتنصل عن جذوره ومبادئ شريعته ومعتقداته الدينية فالرّواية حسب " محمد ساري" يجب "أن تستطيع الجمع بين المجتمع وبين الذوات وأن تنعكس على الفرد، وتشرح الواقع بكلّ سلبياته وإيجابيات وأن تبرر ما يحدث داخله"[1]، فهي تحكي هموم الفرد وانشغالاته داخل المجتمع، و"ابراهيم سعدي" في روايته يتحدى كلّ الطابوهات والإيديولوجيات ويغوص في معاناة الفرد داخل مجتمعه فيعبر عن مشاكلّه. والكاتب بصفة عامة "يعمل على فرض مبادئه وأفكاره في محيطه الاجتماعي من خلال إبداعه الذي يحمل رؤى مقنعة وأفكار مبطنة عمد لبثها في ثنايا عمله لسعيه لاستبدال تلك الإيديولوجية السائدة بأفكاره، والوعي بما يحدث وتعرية الواقع"[2]، والروائي يأخذ على عاتقه ضرورة سرد الوقائع بقوة إبداعية يستكشف من خلالها عوالم تعبر عن رؤاه ف«حين يتغلغل الروائي في الذات ينفتح على عوالم مختلفة فينطلق من رؤيا فكرية معينة تعكس موقفه بشكلّ مباشر يجسد من خلالها التزامه وانتمائه لمجتمع ما باعتباره جزء لا يتجزأ منه»[3]، وهذا يضفي على الرّواية طابعا خاصا من خلال إخضاعها لتطور رؤية الكاتب الجمالية المعرفية للواقع حيث تكون معرفته شاملة ورؤيته دقيقة للصراعات الجوهرية المتضاربة التي يتعرض لها أفراد المجتمع من سطو وفساد واستبداد.

وبناء على ذلك يمكن القول أن الروائي يصوّر واقعه، ويحاول تحسينه أو تغييره من خلال تفكيك القيم السّلبية التي تعيق رحلة الإنسان إلى المثل العليا والقيم السمحة التي يجب

---

[1]– صباح شيب، المتن الروائي الجزائري وأسئلة الراهن الملتبس، الجزائر الجديدة،2011، https://www.djazairess.com، 2024/04/14، 23:30.

[2]- شريفة بوكاف، علاوة ناصري، إيديولوجية الكاتب في رواية " الآدميون" لـ "إبراهيم سعدي" –مقاربة تأويلية–، ص203.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

على الفرد التحلي بها، فتناولها بطريقة جدلية ليقوم بإحصاء مظاهر التعايش بين العالمين وتحليلها وجعل من القيم المتضادة مادة أساسية أقام عليها صراعا يعكس ثقافتين لحضارتين مختلفتين فكريا واجتماعيا لتعرية الواقع الذي تعيشه البلدان العربية ويحذرها من التبعية المطلقة التي تقضي على هويتها وانتمائها وحضارتها.

خاتمة

أفضى بنا البحث حول صراع القيم في رواية "الآدميون" لإبراهيم سعدي، إلى جملة من النتائج نجملها فيما يلي:

– رسمت الرّواية خوف المثقف الجزائري وقلقه من انتشار القيم السّلبية في وسط المجتمع وتخوفه أيضا من الصّراعات التي يمكن أن تتولد بفعل انتشار هذه القيم.

– الفكرة التي يريد الروائي تمريرها من خلال هذا العمل الروائي هي أن كلّ إنسان يحمل بداخله نوازع وبذور الشر ولا يظهرها إلا حين يتعرض للظلم، أو يواجه مجموعة من مواقف تعزز غريزته الانتقامية وذلك على نحو ما حدث مع المنقب "شين هاء".

– رواية "الآدميون" غنية بالمعاني الدفينة والمتعدّدة والقابعة وراء البنى اللغوية القابلة للتأويل والقراءة، فهي تنفتح على أكثر من مقاربة، وتصلح للدراسة من جوانب مختلفة.

– تعبر القيم عن غايات يسعى الفرد أو المجتمع إلى تحقيقها، فترتبط بثقافة الأمة وتقوم على معتقداتها الدينية وثقافتها الفكرية، لذلك تتسم بالسمو والقداسة.

– تتسم القيم بالهرمية فهي ترتب عند كلّ فرد ترتيبا مندرجا حسب أهميتها.

– طرح الروائي في روايته مجموعة من التساؤلات حول معنى الحياة وماهية الوجود وهي أسئلة ناقشها بأسلوب فلسفي، عبّر من خلالها عن مشاعر القلق والخوف الناتجة عن الإحساس بالضياع.

– القلق الوجودي شعور ملازم للذات، ينتج عن وعيها بقيمة الإنسان وما يواجهه في هذا العالم، فيصبح هذا القلق نوعا من الاغتراب والانطواء.

– يقوم التعايش على مبدأ تقبل الآخر وتكريس قيم الاحترام والتسامح وتجسيد حوار الحضارات وثقافة الوعي المشترك القائم على تبادل المصالح.

– احتلت فكرة الموت في الرّواية مكانة هامة، فهي القضية المحورية التي تدور حولها حياة الإنسان، فيصورها "إبراهيم سعدي" في روايته بصور مختلفة تتعدّد بين المنية الطبيعية والقتل والانتحار والشنق والذبح، فكلّ هذه أساليب تؤدي إلى حقيقة حتمية واحدة وهي الفناء. والموت فكرة طرحها المفكرون والفلاسفة في مختلف العصور والأزمنة، وهي مرتبطة بالاعتقاد والعقيدة.

– لا يقصد بالتعايش الذوبان في ثقافة الآخر والتنازل عن كلّ المبادئ المتجذرة في الثقافة الأصلية، وإنّما التأسيس لعلاقات إنسانية أساسها ثقافة الفهم، وتقبل الآخر بروح متعالية وكسر كلّ قيود التعصب بمختلف أشكاله.

– الكتابة سلاح الروائي، عمد إليه للتعبير عن مخاوف الإنسان ومستقبل الإنسانية المحفوف بالمخاطر وغياب القيم الإنسانية.

– تضمر الرّواية جملة من الانتقادات الموّجهة للأنظمة العربية المتخاذلة.

– تأثر "إبراهيم سعدي" بالفلسفة، وهو أستاذ فلسفة، وخاصة بأفلاطون، حيث الإيمان "بعالم المثل" الذي تُنشد فيه الفضيلة وتغيب فيه الرذيلة.

الملاحق

1-نبذة عن الروائي:

إبراهيم سعدي "روائي وأكاديمي ومترجم، من مواليد 1950م"[1] في الجزائر، اشتغل منصب أستاذ بجامعة تيزي وزو سنة1982م، وقد اشتغل في معهد اللغة والأدب العربي إلى غاية 2008م، وبعد ذلك تحول إلى قسم الفلسفة الذي فتح في السنة الجامعية 2010/2009م، كما اشتغل في الصحافة إذ تعامل مع الملحق الأدبي "آفاق" التابعة لجريدة الحياة اللندنية، وكذلك مع جريدة "الشروق" الجزائرية لبضع سنوات أيضا حيث كان ينشر مقالات أسبوعية حول المجتمع الجزائري والمجتمع العربي عموما تناولت مقالاته: الثقافة والمجتمع والسياسة ونشرها في كتابين أحدهما يحمل عنوان "مقالات ودراسات في المجتمع العربي" الذي صدر سنة 2009م، أما الكتاب الثاني جاء بعنوان "مقالات ودراسات في المجتمع الجزائري وثقافته". كما قام بترجمة مجموعة من الأعمال الأدبية والنقدية والتاريخية ولعل أبرزها:

- صيف إفريقي لـ "محمد ديب" (من الفرنسية إلى العربية) الصادر عن
- منطقة القبائل والأعراف القبائلية لـ "هانوتو ولوتورنز"، الصادر عن

و"إبراهيم سعدي" من الكتاب الجزائيين الذين تأثروا في كتاباتهم بالفلسفة تناولت أعماله الأحوال الاجتماعية الثقافية والسياسية في اطار ما يسمى بالالتزام في الأدب، فكتب "سعدي" مجموعة من الروايات منها "فتاوى زمن الموت" و"بوح الرجل القادم من الظلام"، و"بحثا عن أمال الغبريني" وغيرها من الأعمال التي سايرت واقع الجزائر بعد الاستقلال. تحصل "إبراهيم سعدي" على جائزة مالك حداد للرواية سنة2001م.

ومن بين الدّراسات التي أُنجزت حول أعماله نذكر:

[1]- إبراهيم سعدي، رواية الآدميون، الصفحة الأخيرة.

– مقال تحت عنوان: تمثلات المقدس في رواية "الآدميون" لـ "إبراهيم سعدي"، نادية سلطان، وحليمة عواج، جامعة باتنة.

– مقال تحت عنوان: إيديولوجيا الكاتب في رواية "الآدميون" لـ "إبراهيم سعدي" مقاربة تأويلية، شريف بوكاف، علاوة ناصري، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر.

– مقال تحت عنوان: "إبراهيم سعدي" الرّواية الجزائرية مجهولة عربيا، أبو بكر زمال صحيفة العرب الإلكترونية.

– أطروحة الدكتوراه تحت عنوان: بنية النص السردي في روايات "إبراهيم سعدي"، عبد القادر رحيم، جامعة تبسة، الجزائر.

– مذكرة ماستر تحت عنوان: الأنساق الثقافية في رواية الآدميون ل "إبراهيم سعدي" كهينة سعاد، جامعة تيزي وزو، الجزائر.

2–ملخص الرّواية:

صدرت رواية "الآدميون" للكاتب الجزائري "إبراهيم سعدي" عن منشورات ضفاف ببيروت، ومنشورات الاختلاف في الجزائر بطبعتها الأولى ونشرت سنة 2018م، عدد صفحاتها 318 صفحة.

تدور أحداث الرّواية في المأمونة تلك الحضارة الهادئة والمسالمة التي ستتعرض للتدمير بعدما تفشت فيها مظاهر الفساد، فيعود بنا الروائي إلى تلك الجريمة التي ذهب ضحيتها أحد شخصيات المأمونة "إيلام طوث" فيُكلّف المنقب "شين هاء" بمهمة البحث عن المجرم. فقد عرف هذا المنقب بخرافاته التي لا يصدقها عقل ولا منطق أهل تلك الحضارة. فبمجرد وصول بلاغ على لسان أحد شخصيات الرّواية "نازر ماشاهو" والذي مفاده وجود جثة مقتولة في أرض خالية من معالم الحياة والتي أطلقوا عليها "أرض الصمت"، تطرح

مجموعة من التساؤلات التي تستوجب حلا وجوابا مقنعا، فتتصاعد على وتيرتها أحداث الرّواية.

يبدأ المنقب "شين هاء" رحلته في البحث عن المجرم ويتعرف على مجموعة من الشخصيات التي يجري معها حوارات واستجوابات فيستنتج في كلّ مرة مجموعة من المفاهيم الجديدة والمناقضة لما كان سائدا في المملكة. فكانت تلك الجريمة منعرجا حاسما لقلب المأمونة رأسا على عقب، حيث أثارت هذه الجريمة في سكانها الحزن والخوف والرعب، كما أثارت في أرجائها أفعالا لا أخلاقية تم وصفها بمظاهر الشر وهي أفعال سيئة غير معهودة في المملكة كالزنا والخيانة والاغتصاب فاستحوذت هذه المصطلحات مع مرادفاتها على المعجم اللغوي الخاص بالمملكة بعد محاولات عديدة من المأمونيين التي باتت بالفشل في صد هذه المظاهر، وقد توصلوا إلى هو سن مجموعة من القوانين التي تنص على معاقبة كلّ من يقوم باختراق خصوصيات الإنسان وحقوقه وذلك بهدف استرجاع تلك السكينة التي سادت المملكة في عصر من العصور العابرة، وعلى الرغم من كلّ هذه المحاولات كانت نهاية "المأمونة" الدّمار والإندثار.

بعد الجهود الكبيرة التي بذلها المنقب "شين هاء" يتوصل إلى الحل ويكتشف أمر المجرم الذي هو "نازر ماشاهو" المبلّغ عن أمر الجثة الموجودة في أرض الصمت، ولكن هذه النتيجة جاءت في وقت متأخر، فقد هرب المجرم ماشاهو بعدما تم تنفيذ المهمة التي أتى من أجلها، فقرر المنقب خوض رحلة جديدة من أجل البحث عنه وعن عالمه المجهول ليذهب دون رجعة. وفيما يخص "نازر ماشاهو" فقد كتب خطابا طويلا أرسله للمنقب ولكن لم يصل إليه فبقي مستورا لمدة من الزمن ليصل بعد ذلك إلى المسؤولين عن المملكة فيقومون بتحليله فتضمن هذا الخطاب اعتراف صريح من المجرم بارتكابه لجريمة قتل "إيلام طوث"، كما يضيف بأنه أول من أدخل مرادفات الشر إلى المملكة. فيصف في رسالته كلّ

الأفعال الشنيعة التي ارتكبها في المملكة من زنا واغتصاب وزرع الفتنة والعداء بين الإخوة ليختتمها بجريمة القتل.

إضافة إلى ذلك خلف وراءه ذرية يحملون دمه والذين سوف يقومون بتدمير المملكة بكلّ حواضرها. ف"نازر ماشاهو" شخصية جاءت من عالم آخر مناقض للمأمونة وهو عالم الآدميين جاء يحمل في قلبه كلّ أفعال ومظاهر الشر التي ألقى بها على أرض تلك المملكة، فاستطاع أن يعيش بين أفرادها متنكرا في شخصيته، وكان هدفه من ذلك إنجاز المهمة المكلّف بها والتي نجح في تنفيذها. ليموت في النهاية بعد لقائه مع المنقب "شين هاء" الذي خاض رحلة بحث استمرت لعهود من الزمن فيلتقيان في عالم الآدميين لقاء الأعداء أين يلقى كلّ منهما حتفه.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع
- ابراهيم سعدي، رواية الآدميون، إبراهيم مشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2018.

أولا-المصادر والمراجع:

أ- العربيّة

- أبا ناصر اسماعيل بن عمادة الجوهري، الصحاح، دار الحديث، دط، القاهرة، 2009.
- أمل مبروك، فلسفة الموت، دار التنوير، د ط، بيروت، لبنان، 2011.
- سعاد جبر سعيد، الصّراع القيمي وأثره في التربيّة. عالم الكتب للنّشر والتّوزيع، ط1 الأردن، 2015.
- صالح عبد الله المكي وآخرون، نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرّسول الكريم صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة، ط4، جدّة، د.ت.
- صالح قنصوه، نظرية القيمة في الفكر المعاصر، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، دط القاهرة، 1986.
- عبد الله الغذامي، عبد النبي، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر المعاصر، ط1 دمشق،2004.
- ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربيّة الإسلاميّة، دار العلم، دط، دمشق، 1987.
- مانع بن محمد بن علي المانع، القيم بين الإسلام والغرب- دراسة تأصيلية مقارنة- دار الفضيلة، ط1،السعودية،2005.
- هاني المبارك، شوقي أبو خليل، الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، 1996.
- نخبة من أساتذة علم الاجتماع، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، دط، الاسكندرية، مصر.

ب- المترجمة

- جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، تر: عبد المنعم الحنفي، الدار المصرية للطبع والنشر والتوزيع، ط1، مصر،1964.

ثانيا: المعاجم والقواميس

- جميل صليبة، المعجم الفلسفي، دار الكتب اللبنانية، الجزء الأول، د ط، بيروت لبنان،2008.
- كافي الكفاة وآخرون، المحيط في اللّغة، ج6، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1994.
- محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين ابن المنظور، لسان العرب، دار الصادر بيروت، لبنان، المجلد08، دط، د.ت.
- مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004.
- مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ج2، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر 2008.

ثالثا: المجلات والدّوريات

- أحمد محمود محمد، وآخرون، الموروث الثقافي الشعبي وانعكاسه على أحداث التكيف الاجتماعي داخل البلاد الخاصة–دراسة أنتروبولوجية لعينة من الوافدين والنازحين الأفارقة المقيمين بالقاهرة، مجلة العلوم البيئية، المجلد48، الجزء 03 مصر، ديسمبر2019.
- بوسكن مجاهد، النقد الثقافي وآليات القراءة والتأويل، مجلة المعيار، جامعة تسمسيلت، العدد01، الجزائر، جوان2022.
- حسن عبد الله حسن، تصنيف القيم بين الإسلام والغرب، مجلّة مع الشباب ع 04 لبنان،2019.
- الربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر،1980.
- سامي شهيد مشكور، فلسفة القيم في الفكر الفلسفي الغربي المعاصر "ماكس شيلر" و"نيقولاي هارتمان"، أنموذجًا، مجلّة آداب الكوفة، ع53، ج1، العراق، سبتمبر 2022.

- شريفة بوكاف، علاوة ناصري، إيديولوجيا الكاتب في رواية" الآدميون" ل"ابراهيم سعدي"–مقاربة تأويلية–، مجلة البحوث والدّراسات الإنسانية، المجلد16، العدد02 الجزائر،2022.
- قواسم بن عيسى، الاتصال التعايشي وإدارة الاختلاف من صدام الحضارات إلى ثقافة العيش المشترك، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، مجلد03 العدد03، الجزائر، سبتمبر 2020.
- مازن عبد الله ابن إبراهيم الرشدان، دور الجامعة في مواجهة صراع القيم من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في جامعة حائل، مجلة القراءة والمعرفة، الجزء الثاني مصر، 2021.
- محمد بومخلوف، الشباب بين صراع القيم وأزمة الثقة، مجلة أفكار وآفاق، المجلد03، ع04،الجزائر، 2013.
- ممتاز الشايب، الصّراع بين القيم الاجتماعية وبين القيم التنظيمية بدى مديري مدارس التعليم الأساسي والثانوي الحكومية من المدنية، المجلد11، ع01، دمشق، 2013.
- منال محمد خليف، فينوميتولوجيا القيم المبتورة، مجلّة الاستغراب، ع27، لبنان 2022.
- نادية سلطان، حليمة عواج، تمثلات المقدس في رواية" الآدميون" لـ "إبراهيم سعدي" مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد05، ع02، الجزائر جوان2022.

رابعا: الرسائل الجامعية

- ايمان محمد بركة ثابت، الشعور بالقلق الوجودي لدى طلبة كلية الفنون الجميلة بجامعة الأقصى وعلاقته بالإبداع، دراسة قدمت للحصول على درجة الماجستير في علم النفس، جامعة الأزهر، القاهرة، 2016.
- مزراق نوال، الصّراع القيمي وأزمة الهوية والتمرد النفسي لدى المتمدرسين مدمني وغير مدمني الأنترنيت– دراسة مقارنة على عينة من تلاميذ المرحلة الثانوية أطروحة الدكتوراه ،ل.م.د في علوم التربية، جامعة باتنة، الجزائر،2020–2021.

- نينك فوجي أستوتك، الصّراع الاجتماعي لرلف دهرندروف في رواية "سنونوات كابول" لـ "ياسمينة خضرا"–دراسة اجتماعية أدبية–، قسم اللغة العربية، كلّية العلوم الانسانية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية بمالانج، أندونسيا،2018.

خامسا: المواقع الإلكترونية

- ابن تيمية، النبوات الموسوعة الحديثة، ص120، على الموقع: htpps://www.dorar.net ، 2024/06/10، 13:00.
- أحمد فواتيح محمد الأمين، محاضرة رقم01، في مقياس إدارة الصّراع التنظيمي الجزائر، https://elearn.unv-tlemcen.zd ,2024/05/03، 10H35.
- صباح شيب، المتن الروائي الجزائري وأسئلة الراهن الملتبس، الجزائر الجديدة،2011، https://www.djazairess.com, 2024/04/14، 23:30.

فهرس الموضوعات

مقدمة 1

الفصل الأوّل

تجليات صراع القيم في الرّواية

تمهيد 8

1- مفهوم القيمة وتصنيف القيم 9

أ- المفهوم اللّغوي للقيمة 9

ب- المفهوم الاصطلاحي للقيمة.....10

جـ- تصنيف منظومة القيم 12

2- مفهوم الصّراع وصراع القيم 20

أ- المفهوم اللّغوي للصراع 20

ب- المفهوم الاصطلاحي للصراع.....21

ج- مفهوم صراع القيم 22

3- صراع القيم المتضادة في رواية "الآدميون" 25

أ- الخير/ الشرّ 26

ب- الاستقرار/ التغيير 28

جـ- الوفاء/ الخيانة 31

د- الحب/ الكراهية 33

هـ- الظّلم/ العدل 35

الفصل الثاني

صراع الأنساق الثقافية في الرّواية

تمهيد 39

1-رمزية العنوان ونسق الخطيئة 41

2-نسق القلق الوجودي 47

3- نسق التعايش وصراع الوافد والمقيم 56

خاتمة 66

الملاحق.....69

1-نبذة عن الروائي.....70

2-ملخص الرّواية 71

قائمة المصادر والمراجع.....74

فهرس الموضوعات 79

ملخص البحث:

تناول بحثنا موضوع "صراع القيم في رواية "الآدميون" لإبراهيم سعدي" حاولنا فيه مقاربة الإشكالية التالية: كيف تجلى خطاب القيم في الرواية؟ وكيف تشكلّ صراع القيم فيها؟ وقد قاربنا هذه الإشكالية من خلال فصلين، تناولنا في الفصل الأول القيم الواردة في الرواية وركزنا على القيم المضادة التي شكلّت ثنائيات ضدية يرجع أساسها إلى ثنائية الخير والشر.

أما الفصل الثاني، فحاولنا استجلاء أهم الأنساق الثقافية المضمرة والتي شكلّها صراع القيم والتي سعت الرواية إلى تمريرها في قالب سردي جمع بين جماليات التخييل من جهة وبين محاولة تمرير محتوى قيمي فلسفي يفصل بين المتناقضات من جهة أخرى.

وقد تبين لنا ان الروائي "إبراهيم سعدي" يحمل همًا اجتماعيا حاول من خلال روايته تمرير مشروع أخلاقي قيمي ينشد الفضيلة ويحذر من القيم السّلبية التي تهدم المجتمع في قالب فني جمالي.

الكلّمات المفاتيح: خطاب القيم، الأنساق، الصراع.

Résumé de la recherche

Notre mémoire a traité le thème des « conflits de valeurs dans le roman « الآدميون » du romancier « Ibrahim Saadi », nous avons tenté d'approcher la problématique comme suite :

Comment le discours des valeurs s'est-il manifesté dans le roman ? Et comment s'y forme le conflit de valeurs ?

Et nous avons exploré ces problématiques à travers deux chapitres :

Nous avons discuté dans le premier chapitre des valeurs mentionnées dans le roman et nous nous sommes concentrés sur les anti-valeurs qui ont formé les anti-dualismes basés sur la dualité du bien et du mal.

En ce qui concerne le deuxième chapitre, nous avons essayé de clarifier les modèles culturels implicites les plus importants façonnés par le conflit de valeurs que le roman cherchait à transmettre sous une forme narrative combinant l'esthétique de l'imagination d'une part, et de transmettre un contenu de valeur physiologique qui sépare les contradictions d'autre part.

Il nous est apparu que le romancier « Ibrahim Saadi » porte une préoccupation sociale et a tenté à travers son roman de transmettre un projet moral et éthique qui recherche la vertu et met en garde contre l'initiation à la négativité qui détruit la société, sous une forme artistique et esthétique.

Mots clés : Discours de valeurs, coordination, conflits.